المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر ربيع الآخر سنة ١٣٢٥ — آخر الثلاثاء ١١ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٧)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٥٢ : ٤٥) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٣ : ٤٦) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٤ : ٤٧) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٥ : ٤٨) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٦ : ٤٩) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٧ : ٥٠) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ● (٥٨ : ٥١) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ●

قال الاستاذ الامام: انتقل من البشارة بعيسى الى ذكر خبره مع قومه وطوى ما بينهما من خبر ولادته ونشأته وبعثه مؤيدا بتلك الآيات وهذا من إيجاز القرآن الذي انفرد به فقد انطوى تحت قوله (فلما أحس عيسى منهم الكفر) جميع مادلت عليه البشارة وعلم انه ولد وبعث ودعا وأيد دعوته كما سبقت البشارة فأحس وشعر من قومه وهم بنو اسرائيل الكفر والعناد والمقاومة والقصد بالايذاء وفي هذا من العبرة والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ما فيه وان أكبر ما فيه الاعلام بأن الآيات الكونية وان كثرت وعظمت ليست ملزمة بالايمان ولا مفضية اليه حتما وانما يكون الايمان باستعداد المدعو اليه وحسن بيان الداعي ولذلك كان من أمر عيسى عليه السلام انه لما أحس من قومه الكفر (قال من أنصاري الى الله) أي توجه الى البحث عن أهل الاستعداد الذين ينصرونه في دعوته تاركين لاجلها كل ما يشغل عنها منخلعين مما كانوا فيه متحيزين ومنزوين الى الله منصرفين الى تأييد رسوله ونصره على خاذليه والكافرين بما جاء به (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي أنصار دينه وهذا القول يفيد الانخلاع والانفصال من التقاليد السابقة والاتصال بالتعليم الجديد وبذل منتهى الاستطاعة في تأييده فان نصر الله لايكون الا بذلك

والحواريون أنصار المسيح والنصر لا يستلزم القتال فالعمل بالدين والدعوة اليه نصر له قال الاستاذ الامام ولا نتكلم في عددهم لأن القرآن لم يعينه أقول ولعل لفظ الحواري مأخوذ من الحُوّارى وهو لباب الدقيق وخالصه ولانه من خيار القوم وصفوتهم أو من الحور وهو البياض وفي حديث الصحيحين « لكل نبي حواري وحواري الزبير » ومن هنا قيل خاص بأنصار الانبياء (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) مخلصون له منقادون لامره وفي هذا دليل على ان الاسلام دين الله على لسان كل نبي وان اختلفوا في بعض صوره واشكاله واحكامه وأعماله .

ومن مباحث اللفظ في الآية أن «أحس» يستعمل في ادراك الحسي والمعنوي في حقيقة الاساس : أحسست منه مكرا وأحسست منه بمكر وما أحسنا منه خبرا وهل تحس من فلان بخبر ، والمكر من الامور المعنوية وان كان يستنبط من

الاعمال الحسية ويستدل عليه بها . وقال البيضاوي في الآية « تحقق كفرهم عنده تحقق مايدرك بالحواس » وهو مبني على ان معنى أحس الشيء ادركه باحدى حواسه وان اطلاقه على ادراك الامور المعنوية مجاز شبه فيه المعقول بالمحسوس في الجلاء والوصول الى درجة اليقين . على أن الكفر يعرف بالاقوال والأعمال المحسوسة . وقال الاستاذ الامام ان الجار في « الى الله » متعلق بلفظ « أنصاري » وإن لم يعرف ان مادة نصر تتعدى بإلى ذلك بأن مجموع الكلام هنا قد أشرب الكلمة معنى الالتجاء والانضمام لأن النصر يحصل بذلك ، ويصح ان يتعلق بوصف يفيد هذا المعنى الذي يدل عليه الأسلوب كما قدرنا في بيان العبارة وهو الذي جرى عليه المفسرون محافظة على القواعد الموضوعة

(ربنا آمنا بما أنزلت) معطوف على قولهم نحن أنصار الله الخ أي صدقنا بما أنزلت من الانجيل (واتبعنا الرسول) عيسى بن مريم قال الاستاذ الامام ذكر الاتباع بعد الايمان لأن العلم الصحيح يستلزم العمل والعلم الذي لا أثر له في العمل يشبه ان يكون مجملا أو ناقصا لا تفصيليا وتاما وكثيرا ما يظن الانسان أنه عالم بشيء حتى اذا حاول العمل به ظهر له أنه كان مخطئا في دعوى العلم ثم قال ان العلم بالشيء يظل مجملا مبهما في النفس حتى يعمل به صاحبه فيكون العلم تفصيليا فذكر الحواريين الاتباع بعد الايمان يفيد ان ايمانهم كان في مرتبة اليقين التفصيلي الحاكم على النفس المصرف لها في العمل (واكتبنا مع الشاهدين) للرسول بتبليغ الدعوة وعلى قومه بما كان منهم من الكفر والجحود ، فحذف معمول الشاهدين ليعم المشهود له والمشهود عليهم أو يقال الشاهدين على هذه الحالة أي حالة الرسول مع قومه وهو الذي اختاره الاستاذ الامام قال ومن المعروف في الفقه ان الشاهدين بمنزلة الحاكم لأن الفصل بين الخصمين يكون بشهادتهما ولا تصح الشهادة الا من العارف بالمشهود به معرفة صحيحة وقد كان الحواريون كذلك كما علم من اقرارهم بالايمان والاتباع

(ومكروا ومكر الله) أي ومكر أولئك الذين أحس عيسى منهم الكفر به فحاولوا قتله وأبطل الله مكرهم فلم ينجحوا به وعبر عن ذلك بالمكر على طريق المشاكلة كذا قال الجمهور وأقرهم الاستاذ الامام ولكن ورد في سورة الاعراف اضافة المكر

الى الله تعالى من غير مقابلة بمكر الناس قال (٧: ٩٩ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) والمكر في الاصل التدبير الخفي المفضي بالممكور به الى مالا يحتسب ولما كان الغالب ان يكون ذلك في السوء لأن من يدبر للانسان ما يسره وينفعه يكاد لا يحتاج الى اخفاء تدبيره غلب استعمال المكر في التدبير السيء · وإن كان في المكر الحسن والسيء جميعاً قال تعالى (٣٥ : ٤٣ استكبارا في الارض ومكر السيء · ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) ووجه الحاجة الى المكر الحسن ان من الناس من اذا علم بما يدبر له من الخير أفسد على الفاعل تدبيره لجهله فيحتاج مربيه أو متولي شؤونه الى أن يحتال عليه ويمكر به ليوصله الى مالا يصح ان يعرفه قبل الوصول · اذاً يوجد في الماكرين الاشرار والاخيار (والله خير الماكرين) فان تدبيره الذي يخفى على عباده انما يكون لاقامة سننه وإتمام حكمه وكلها خير في نفسها وان قصر كثير من الناس في الاستفادة منها بجهلهم وسوء اختيارهم · وقال الاستاذ في تفسير « خير الماكرين » بناء على ان المكر في نفسه شر : اي ان كان في الخير مكر فمكره سبحانه وتعالى موجه الى الخير ومكرهم هو الموجه الى الشر

﴿اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا﴾

أي مكر الله بهم اذ قال لنبيه اني متوفيك الخ فان هذه بشارة بانجائه من مكرهم وجعل كيدهم في نحرهم قد تحققت ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون بالمكر والحيلة · والتوفي في اللغة أخذ الشيء وافيا تاما ومن ثم استعمل بمعنى الإماتة قال تعالى (٣٩ : ٤٢ الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (٣٢ : ١١ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) فالمتبادر في الآية إني مميتك وجاعلك بعد الموت في مكان رفيع عندي كما قال في ادريس عليه السلام (١٩ : ٥٣ ورفعناه مكانا عليا) والله تعالى يضيف اليه ما يكون فيه الابرار من عالم الغيب قبل البعث وبعده كما قال في الشهداء (٣ : ١٦٩ أحياء عند ربهم) وقال (٥٤ : ٥٤ ان المتقين في جنات ونهر ٥٥ في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وأما تطهيره من الذين كفروا فهو إنجاؤه مما كانوا يرمونه به أو يرومونه منه أو يريدونه به من الشر · هذا ما يفهمه القاريء الخالي الذهن من الروايات والاقوال لانه هو

المتبادر من العبارة وقد أيدناه بالشواهد من الآيات ولكن المفسرين قد حولوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما أعطتهم الروايات من كون عيسى رفع الى السماء بجسده وهاك ما قاله الاستاذ الامام في ذلك

يقول بعض المفسرين « أني متوفيك » أي منومك وبعضهم اني قابضك من الارض بروحك وجسدك « ورافعك الي » بيان لهذا التوفي ، وبعضهم اني أنجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك واميتك حتف انفك ثم أرفعك الي ونسب هذا القول الى الجمهور وقال العلماء ههنا طريقتان احداهما وهي المشهورة انه رفع حيا بجسمه وروحه وانه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ولهم في حياته الثانية على الارض كلام طويل معروف وأجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القرآن في تقديم الرفع على التوفي بأن الواو لاتفيد ترتيبا — أقول وفاتهم ان مخالفة الترتيب في الذكر للترتيب في الوجود لايأتي في الكلام البليغ الا لنكتة ولا نكتة هنا لتقديم التوفي على الرفع اذ الرفع هو الأهم لما فيه من البشارة بالنجاة ورفعة المكانة

(قال) والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها وان التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهو الإماتة العادية وان الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ولا بدع في إطلاق الخطاب على شخص وارادة روحه فان الروح هي حقيقة الانسان والجسد كالثوب المستعار فانه يزيد وينقص ويتغير والانسان إنسان لان روحه هي هي (قال) ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لايؤخذ فيها الا بالقطعي لان المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر . وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ماغلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها

ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم الى عالم الأرواح بتحري كمال الآداب أي ولما كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبرا عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقا لروحها ذاهبا بحكمتها كان لا بد لهم من اصلاح عيسوي يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقي وكل ذلك مطوي في القرآن الذي حجبوا عنه بالتقليد الذي هو آفة الحق وعدو الدين في كل زمان . فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الاسلامية لاصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر

هذا ما قاله الاستاذ الامام في الدرس مع بسط وإيضاح ولكن ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تأباه ولأهل هذا التأويل ان يقولوا ان هذه الاحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الاحاديث والناقل للمعنى ينقل ما فهمه . وسئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال ان الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها وان القرآن أعظم هاد الى هذه الحكم والاسرار وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة للقرآن فلا حاجة للبشر الى اصلاح وراء الرجوع الى ذلك وسنعود الى مبحث ما جرى للمسيح عليه السلام مع الماكرين الذين أرادوا قتله وصلبه في تفسير سورة النساء ان شاء الله تعالى

﴿ وجاعل الذين اتبعوك ﴾ بالأخذ بما جئت به من الهدى ﴿ فوق الذين كفروا ﴾ بك ولم يهتدوا بهديك فوقية روحانية دينية وهي كونهم أحسن أخلاقا وأكمل آدابا وأقرب الى الحق والفضل وأبعد عن الباطل والاعتداء أو فوقية دنيوية وهو كونهم يكونون أصحاب السيادة عليهم . ولكن هذا الوجه لم يتحقق في زمن المسيح لاشد الناس اتباعا له بل كانوا مقهورين لليهود فتعين ان يكون الوجه الأول هو المراد ووجهه ظاهر فان اتباع المسيح هو عين الأخذ بتلك الفضائل والمواعظ التي جاء بها وليس عندنا شيء عن الاستاذ الامام في هذا . ولا يشكل عليه قوله ﴿ الى يوم القيامة ﴾ فان فوقية الفضائل والآداب هي التي كانت — وستبقى كذلك مادامت السموات والأرض ﴿ ثم اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ أقول فيه التفات عن الغيبة الى الخطاب وبذلك يشمل المسيح والمختلفين معه

ويشمل الاختلاف بين اتباعه والكافرين به والله هو الذي يبين لهم جميعاً يوم الحساب الحق في كل ما اختلفوا فيه بما يزيل شبه المشتبهين ورياء الجاحدين

﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ وكذلك عذب الله اليهود الذين كفروا به بتسليط الأمم عليهم وتحكمها فيهم ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون هناك كما أنهم لم ينصروا هنا ﴿ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ﴾ إما في الدارين وهو الغالب في الأمم واما في الآخرة فقط ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ لأنفسهم بالخروج عن سنن الفطرة والكفر بالانبياء الذين يطالبون النفوس بتقويمها

﴿ ذلك ﴾ الذي تقدم من خبر عيسى ﴿ نتلوه عليك من الآيات ﴾ الدالة على نبوتك ﴿ والذكر الحكيم ﴾ الذي يبين وجوه العبر في الأخبار والحكم في الاحكام فيهدي المؤمنين الى لباب الدين وفقه الشريعة وأسرار الاجتماع البشري ليتعظ المتعظون ويصل الى مقام الحكمة العارفون · وليس لدينا عن الاستاذ الامام شيء في هذه الآيات الثلاث

(٥٩ : ٥٢) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٦٠ : ٥٣) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦١ : ٥٤) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦٢ : ٥٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٣ : ٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ •

أقول بعد أن بين سبحانه خلق عيسى ومجيئه بالآيات وما كان من أمر قومه في الايمان والكفر به كشف شبهة المفتونين بخلقه على غير السنة المعتادة والمحاجين فيه بغير علم ورد على المنكرين لذلك فقال ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ أي ان شأن

عيسى وصفته في خلق الله اياه على غير مثال سبق كشأن آدم في ذلك ثم فسر هذا المثل بقوله (خلقه من تراب) أي قدر اوضاعه وكون جسمه من تراب ميت أصابه الماء فكان طينا لازبا ذا لزوجة (ثم قال له كن فيكون) أي ثم كونه تكوينا آخر بنفخ الروح فيه وقد تقدم تفسير العبارة الا انه كان الظاهر ان يقول هنا « ثم قال له كن فكان » ولكنه قال « فيكون » لتصوير الحال الماضية كما يقول أهل المعاني في وضع المضارع موضع الماضي أحيانا · وخطر لي الآن انه يجوز ان تكون كلمة التكوين مجموع « كن فيكون » والمعنى ثم قال له كلمة التكوين التي هي عبارة عن توجه الارادة الى الشيء ووجوده بها حالا · ويظهر هذا في مثل قوله تعالى (٦ : ٧٣ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) ولو كان القول للتكليف لم يظهر هذا لان قول التكليف من صفة الكلام وقول التكوين من صفة المشيئة · ولعل من تأمله حق التأمل لايجد عنه منصرفا · والعطف بثم لبيان التكوين الآخر يفيد تراخيه وتأخره عن الخلق الأول · وهل كان في هذه المدة على صفة واحدة أم تقلب في أطوار مختلفة كما تتقلب ذريته ؟ اقرأ قوله تعالى (٧١ : ١٤ وقد خلقكم اطوارا) وقوله عزوجل (٢٣ : ١٢ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ١٣ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ١٥ ثم انكم بعد ذلك لميتون ١٦ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) فالسلالة المستخرجة من الطين هي المكون الأول الذي يعبرون عنه بلسان العلم الآن بالبرتوبلاسما ومنها تكون أصلنا في ذلك الطور لانه تعالى يقول انه خلقه من تلك السلالة ، ثم انتقل الى طور التوالد بواسطة النطفة في القرار المكين وهو الرحم ثم انتقل الى طور تحول النطفة الى علقه والعلقة الى مضغة والمضغة الى هيكل من العظام يكسى لحما وقد عد هذا طورا واحدا ، ثم أنشأه خلقا آخر وهو الطور الاخير ، ثم ذكر ان له طورا آخر في الموت وطورا آخر في البعث وهو آخر أطواره فكل طور من الاطوار التي قبل الموت حادث وحدوثه لأول مرة لم يكن مسبوقا بنظير ولم يكن معتادا وانما

وجد بمشيئة الله وتكوينه المعبر عنه بقوله « كن فيكون » فهل يعز على صاحب هذه المشيئة ان يخلق عيسى من غير أب ؟ كلا ولا يعجزه أن يبعث الناس بعد موتهم في نشأة أخرى كالنشأة الأولى

وقال الاستاذ الامام مامثاله : قلنا ان هذه الآيات سيقت في معرض إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ببيان أن لله تعالى ان يصطفي من عباده من يشاء لرسالته وأنه مستقل في أفعاله فلا وجه لانكار اصطفائه محمدا وقد اصطفى قبله آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران . ثم جاء في السياق ذكر قصة عيسى وأمه وما جاء به وما كان من كفر بعض قومه به ورمي أمه بالزنا وايمان بعض وهناك قسم ثالث لم يكفر بعيسى ولم يؤمن به ايمانا صحيحا بل افتتن به افتتانا لكونه ولد من غير أب وزعموا ان معنى كونه ولد بكلمة من الله وكونه من روح الله ان الله تعالى حل في أمه وان كلمة الله تجسدت فيه فصار إلها وانسانا فضرب للكافرين والمفتونين مثل خلق آدم من تراب وهو حجة على الفريقين من اليهود والنصارى ولاشك ان خلق آدم أعجب من خلق عيسى لأن عيسى خلق من حيوان من نوعه وذلك قد خلق من التراب ، وفي الكلام إرشاد الى أن أمر الخليقة يشبه بعضه بعضا فكلها غريب بالنسبة الينا اذا تفكرنا في حقيقتها وعللها ولا شيء منه بغريب عند الموجد المبدع . أما القوانين المعروفة في علم الخليقة فهي قد استخرجت مما نعهده ونشاهده وليست قوانين عقلية قامت البراهين على استحالة ماعداها كيف واننا نرى في كل يوم مايخالفها كالحيوانات التي لها أعضاء زائدة والتي تولد من غير جنسها ونرون ذكر ذلك في الجرائد ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة وهو انما خالف ماعرف لا مايعلم الله تعالى وما يدرينا ان لكل هذه الشواذ والفلتات سننا مطردة محكمة لم تظهر لنا وكذلك شأن خلق عيسى فكونه على غير المعهود ليس مزية تقتضي تفضيله عليهم فكيف تقتضي ان يكون الها . واذا كان عيسى قد خلق من بعض جنسه فآدم قد خلق من غير جنسه فهو أولى بالمزية لوكانت وبالانكار ان صح على ان ما نعرف من أمر الخليقة ليس لنا منه الا الظاهر نصفه ونقول به وان لم نعقله وماذا نعقل من الرابطة بين الحس والنطق في الانسان مثلا

بل ماذا نعقل من أمر حبة الحنطة في نبتها واستوائها على سوقها وتناسب أوراقها وغير ذلك

ذلك ﴿ الحق من ربك ﴾ الذي خلق عيسى وغيره وبيده ملكوت كل شيء ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ في أمره القائلين فيه بغير علم فقد جاءك علم اليقين

﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل ﴾ لهم قولا يظهر علمك الحق وارتيابهم الباطل ﴿ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ﴾ يقال ابتهل الرجل دعا وتضرع والقوم تلاعنوا وفسر الابتهال هنا بقوله ﴿ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ وتسمى هذه الآية آية المباهلة وقد ورد من عدة طرق ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا نصارى نجران للمباهلة فأبوا . أخرج البخاري ومسلم ان العاقب والسيد أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد ان يلاعنهما فقال أحدهما لصاحبه لا تلاعنه فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح أبدا ولا عقبنا من بعدنا: فقال له نعطيك ما سألت فابعث معنا رجلا أمينا فقال قم يا أبا عبيدة فلما قفى قال هذا أمين هذه الامة. وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس ان ثمانية من نصارى نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم العاقب والسيد فأنزل الله تعالى « قل تعالوا » الآية فقالوا أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا الى قريظة والنضير وبني قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم ان يصالحوه ولا يلاعنوه وقالوا هو النبي الذي نجده في التوراة فصالحوا النبي (ص) على ألف حلة في صفر وألف في رجب ودراهم . وروي في الصلح غير ذلك ومنها انهم صالحوه على الجزية . وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اختار للمباهلة عليا وفاطمة وولديهما عليهم السلام والرضوان. وخرج بهم وقال « ان أنا دعوت فأمنوا أنتم » وفي رواية لمسلم والترمذي وغيرهما عن سعد قال لما نزلت هذه الآية « قل تعالوا » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا « وقال اللهم هؤلاء أهلي » وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه « تعالوا ندع أبناءنا » الآية قال فجاء بأبي بكر وولده وبعمر وولده وبعثمان وولده وبعلي وولده . والظاهر ان الكلام في جماعة المؤمنين

قال الاستاذ الامام الروايات متفقة على أن النبي (ص) اختار للمباهلة عليا وفاطمة وولديهما ويحملون كلمة نساءنا على فاطمة وكلمة أنفسنا على علي فقط ومصادر هذه الروايات الشيعة ومقصدهم منها معروف وقد اجتهدوا في ترويجها مااستطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنة ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية فان كلمة « نساءنا » لايقولها العربي ويريد بها بنته لاسيما اذا كان له أزواج ولايفهم هذا من لغتهم وأبعد من ذلك ان يراد بأنفسنا علي عليه الرضوان. ثم ان وفد نجران الذين قالوا ان الآية نزلت فيهم لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم. وكل مايفهم من الآية أمر النبي (ص) ان يدعو المحاجين والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب الى الاجتماع رجالا ونساء وأطفالا ويجمع هو المؤمنين رجالا ونساء وأطفالا ويبتهلون الى الله تعالى بأن يلعن الكاذب فيما يقول عن عيسى وهذا الطلب يدل على قوة يقين صاحبه وثقته بما يقول كما دل امتناع من دعوا الى ذلك من أهل الكتاب سواء كانوا نصارى نجران أوغيرهم على امترائهم في حجاجهم ومماراتهم فيما يقولون وزلزالهم فيما يعتقدون وكونهم على غير بينة ولا يقين. وأنى لمن يؤمن بالله أن يرضى بأن يجتمع مثل هذا الجمع من الناس المحقين والمبطلين في صعيد واحد متوجهين الى الله تعالى في لعنه وإبعاده من رحمته ؟ وأي جراءة على الله واستهزاء بقدرته وعظمته أقوى من هذا

قال اما كون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى عليه السلام فحسبنا في بيانه قوله تعالى « من بعدماجاءك من العلم » فالعلم في هذه المسائل الاعتقادية لايراد به الااليقين وفي قوله « ندع أبناءناوأبناءكم » الخ وجهان أحدهما ان كل فريق يدعو الآخر فأنتم تدعون أبناءنا ونحن ندعو أبناءكم وهكذا الباقي وثانيهما ان كل فريق يدعو أهله فنحن المسلمين ندعو أبناءنا ونساءنا وأنفسنا وأنتم كذلك ولا اشكال في وجه من وجهي التوزيع في دعوة الأنفس وانما الاشكال فيه على قول الشيعة ومن شايعهم على القول بالتخصيص

أقول وفي الآية مانرى من الحكم بمشاركة النساء للرجال في الاجتماع للمباراةالقومية والمناضلة الدينية وهومبني على اعتبار المرأة كالرجل حتى في الامور

العامة الا ما استثني ككونها لا تباشر الحرب بنفسها بل يكون حظها من المجاهدين خدمة الجرحى كمداواة الجرحى . وقد علمنا مما تقدم ان الحكمة في الدعوة الى المباهلة هي اظهار الثقة بالاعتقاد واليقين فيه ولولم يعلم الله ان المؤمنات على يقين في اعتقادهن كالمؤمنين لما أشركهن معهم في هذا الحكم . فأين هذا من حال نسائنا اليوم ومن اعتقاد جمهورنا فيما ينبغي ان يكن عليه لا علم لهن بحقائق بالدين ولا بما بيننا و بين غيرنا من الخلاف والوفاق ولا مشاركة للرجال في عمل من الاعمال الدينية ولا الاجتماعية فهل فرض الاسلام على نساء الاغنياء لاسيما في المدن ان لا يعرفن غير التطرس والتطرز والتورن(١) وعلى نساء الفقراء لاسيما القرى والبوادي ان يكن كالأُتن العاملة والبقر العاملة ؟ وهل حرم على هؤلاء وأولئك علم الدنيا والدين ، والاشتراك في شيء من شؤون العالمين ؟ كلا بل فسق الرجال عن أمر ربهم ، فوضعوا النساء في هذا الموضع بحكم قوتهم ، فصغرت نفوسهن ، وعزلت آدابهن ، وضعفت ديانتهن ، وعفت انسانيتهن ، وصرن كالدواجن في البيوت ، أو السوائم في الصحراء ، [illegible] أو دون دواب الحرث في الحقول والغيطان ، فماتت تربية البنين والبنات ، وسرى الفساد الاجتماعي من الافراد الى الجماعات ، فعم الاسر والعشائر ، والشعوب والقبائل ، لبث المسلمون على هذا الجهل الفاضح أحقابا حتى قام فيهم اليوم من يعيرهم باحتقار النساء واستعبادهن ويطالبونهم بتحريرهن ومشاركتهن في العلم والادب وشؤون الحياة . منهم من يطالب بهذا اتباعا لهدي الاسلام وما جاء به من الاصلاح ومنهم من يطالب به تقليدا لمدنية أوربا وقد استحسنت الدعوة الأولى بالقول دون العمل وأجيبت الدعوة الأخرى بالعمل على ذم الاكثرين لها بالقول فأنشأ المسلمون يعلمون بناتهم القراءة والكتابة وبعض اللغات الأوروبية والعزف بآلات اللهو وبعض أعمال اليد كالخياطة والتطريز ولكن هذا التعليم لا يصحبه شيء من التربية الدينية ولا من إصلاح الاخلاق والعادات بل هو من عوامل الانقلاب الاجتماعي الذي

---

(١) التطرس التنوق في الطعام والشراب أي تحري الاطيب منهما والتطرز في اللباس توخي الفاخر النفيس منه والتورن البالغة في التطيب والتنعم

تجهل عاقبته

﴿ ان هذا لهو القصص الحق ﴾ في شأن المسيح وماعداه من قول القائلين انه ولد زنا وقول القائلين فيه انه الله أو ابن الله فباطل ﴿ وما من إله الا الله ﴾ الذي خلق كل شيء وليس كمثله شيء فأي معنى تتصورون من معاني الألوهية فهو له وحده ﴿ وان الله لهو العزيز الحكيم ﴾ لايساويه أحد في عزته في ملكه ولايساويه مساو في حكمته في خلقه فيكون شريكا له في ألوهيته، أو ندا في ربوبيته، وما الولد الانسخة من الوالد يساويه في جنسه ونوعه وهو تعالى فوق الاجناس والانواع، وفوق التصورات والاوضاع،

﴿ فان تولوا ﴾ ولم يجيبوا الدعوة الى المباهلة ولم يقبلوا عقيدة التوحيد الخالص ﴿ فان الله عليم بالمفسدين ﴾ لعقائد الناس باصرارهم على الباطل تقليدا محضا لا برهان يؤيده، ولا بصيرة تعضده، وافساد العقائد افساد للعقل وهو رأس كل افساد

(٦٤ : ٥٧) قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٥ : ٥٨) يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٦ : ٥٩) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٧ : ٦٠) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٨ : ٦١) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ *

لما بين جل شأنه القصص الحق في شأن عيسى والمختلفين فيه وأقام الحجة على القائلين فيه بجعله ربا وإلها بالعقلية ثم ألزمهم من طريق الوجدان أو الضمير – كما

يقال بما دعاهم الى المباهلة لم يبق الا أن يأمر نبيه بأن يدعوهم إلى الحق الواجب اتباعه في الايمان وذلك قوله ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ الآية. قال الاستاذ الامام: الكلام من أول السورة في اثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والرد على المنكرين وقد ظهر بالدعوة الى المباهلة انقطاع حجاج المكابرين ودل نكولهم عنها على أنهم ليسوا على يقين من اعتقادهم ألوهية المسيح وفاقد اليقين يتزلزل عند ما يدعى الى شيء يخاف عاقبته فلما نكلوا دعاهم الى أمر آخر هو أصل الدين وروحه الذي اتفقت عليه دعوة الانبياء وهو سواء بين الفريقين أي عدل ووسط لا يرجح فيه طرف على آخر وقد فسره بقوله ﴿ ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ﴾ أقول المراد بهذا تقرير وحدانية الالوهية ووحدانية الربوبية وكلاهما متفق عليه بين الانبياء فقد كان ابراهيم موحدا صرفا وقد كان الاساس الاول لشريعة موسى قول الله «انا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق ومما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن» وعلى هذا درج جميع أنبياء بني اسرائيل حتى المسيح عليه وعليهم الصلاة والسلام وهم لا يزالون ينقلون عنه في انجيل يوحنا قوله: وهذه هي الحياة الحقيقية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته: وغير ذلك من عبارات التوحيد وكان يحتج على اليهود بعدم إقامة ناموس موسى (شريعته) وهو لم ينسخ من هذا الناموس الا بعض الرسوم الظاهرة والتشديدات في المعاملة أما الوصايا العشر — ورأسها التوحيد والنهي عن الشرك — فلم ينسخ منها شيئا قال الاستاذ الامام: المعنى انا نحن وإياكم على اعتقاد ان العالم من صنع إله واحد والتصرف فيه لإله واحد هو خالقه ومدبره وهو الذي يعرفنا على ألسنة انبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الاصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها حتى اذا سلمنا ان فيما جاءكم من نبأ المسيح شيئا فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعا على وجه لا ينقض الاصل الثابت العام الذي اتفق عليه الانبياء فان سلمنا ان المسيح قال انه ابن الله قلنا هل فسر هذا القول بأنه

إلّا يعبدوهل دعا الى عبادته وعبادة أمه أم كان يدعو الى عبادة الله وحده ؟ لاشك انكم متفقون معنا على أنه كان يدعو الى عبادة الله وحده والاخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل . وأقول ان كلامه عن نفسه كان أكثره من باب الكناية أو المجاز ، بل كان بعضه من قبيل المعميات والألغاز ، حتى ان تلاميذه لم يكونوا يفهمونه الا بعد تفسيره ولقد كان هذا التفسير يتأخر أحيانا الى أمد بعيد ولفظ ابن الله أطلق في كتب العهد العتيق على إسرائيل وغيره فهو مجاز قطعاً . أما هذه النزعات الوثنية التي دخلت على الدين فقد دخلت بعده وليس لواضعيها سند من كلامه وانما يروجونها بأقيسة باطلة جرى عليها كثير من الوثنيين من قبل ومن بعد كقولهم « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » وقولهم « هؤلاء شفعاؤنا عند الله »

قلنا ان الآية قررت وحدانية الالوهية ووحدانية الربوبية فأما وحدانية الألوهية ففي قوله « ألا نعبد الا الله » وأما في قوله « ولا نشرك به شيئا » والاله هو المعبود الذي توله العقول في معرفته وتدعوه وتعبده لاعتقادها ان السلطة الغيبية له وحده وأما وحدانية الربوبية ففي قوله « ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » فالرب هو السيد المربي الذي يطاع فيما يأمر به وينهى والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم كما ورد في حديث عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال ياعدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فقلت له يارسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال « أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ويحلون ماحرم الله فيستحلون » فقلت بلى وسأل حذيفة رضي الله عنه عن الآية فأجاب بمثل ذلك . قال الاستاذ الامام : كان اليهود موحدين ولكن كان عندهم شيء هو منبع شقائهم في كل حين وهو أن اتباع رؤساء الدين فيما يقررونه وجعله بمنزلة الاحكام المنزلة من الله تعالى وجرى النصارى على ذلك وزادوا مسألة غفران الخطايا وهي مسألة تفاقم أمرها في بعض الازمان حتى ابتلعت بها الكنائس أكثر أملاك الناس ومن الغلو فيها ولدت مسألة البروتستانت اذ قاموا فقالوا هلم بنا نترك هؤلاء الارباب من دون الله ونأخذ الدين من كتابه لا نشرك

معه في ذلك أحداً

قال تعالى (فان تولوا) وأعرضوا عن هذه الدعوة وأبوا الا أن يعبدوا غير الله باتخاذ الشركاء الذين يسمونهم وسطاء وشفعاء واتخاذ الارباب الذين يحلون لهم ويحرمون (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) نعبد الله وحده مخلصين له الدين لاندعو سواه ولا نتوجه الى غيره في طلب نفع ولادفع ضر ولانحل الا ما أحله ولا نحرم الا ما حرمه. قال الاستاذ الامام: الآية حجة على انه لايجوز لاحد أن يأخذ بقول أحد ما لم يسنده الى المعصوم: أقول يعني في مسائل الدين البحتة العبادات والحلال والحرام. اما المسائل الدنيوية كالقضاء والسياسة فهي مفوضة بامر الله الى أولي الامر وهم رجال الشورى من أهل الحل والعقد فما يقررونه يجب على حكام المسلمين ان ينفذوه وعلى الرعية ان يقبلوه. فما جرى عليه المقلدون من المسلمين من الاخذ بكلام بعض الفقهاء في العبادات والحلال والحرام هو عين ما انكره كتاب الله تعالى على أهل الكتاب وجعله منافيا للاسلام بل جعل مخالفتهم فيه هي عين الاسلام فليعتبر المسلمون. فان هذه الآية [illegible] الدين المتين وأصله الاصيل ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بها أهل الكتاب الى الاسلام كما ثبت في كتبه الى هرقل والمقوقس وغيرهما وهذا نص كتابه (ص) الى هرقل عاهل الروم كما في رواية البخاري

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين و « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً » الآية الى آخرها. فلولا ان هذه الآية الكريمة أساس الدين وعموده لما جعلها آية الدعوة الى الاسلام فهل يعقل من يؤمن بها اذا هو ادخل فيها باجتهاده ماليس منها فاتخذ له اندادا يدعوهم لكشف الضر وجلب النفع زاعمانهم وسائط يقربونه الى الله زلفى « و يشفعون له عنده في مصالح الدنيا، وهذا عين الاشراك في الالوهية بالاجتهاد الباطل،

والقياس الفاسد ، الذي يشبه به الخبير العليم ، الرحمن الرحيم ، بالملوك الجاهلين ، والامراء المستبدين ، ولا اجتهاد في العقائد ، ولا قياس في أصول الايمان ، أم هل يعذر من يؤمن بها اذا هو اتخذ لنفسه أربابا بسبب العلماء الراسخين ، أو الأئمة المجتهدين ، بجعل كلامهم حجة في الدين ، وشرعا متبعا في التحليل والتحريم ، وذلك عين الاشراك في الربوبية والخروج عن هداية الآية القرآنية ، المؤيدة بمثل قوله تعالى (٤٢ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقوله (١٦:١١٦ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) فالله تعالى قد حد الحدود وبين الحلال والحرام وسكت عن اشياء رحمة بنا غير نسيان منه عز وجل ونهانا نبيه أن نبحث عما سكت عنه وأن نزيد في الدين برأينا واجتهادنا وانما أباح لنا الاجتهاد لاستنباط ما تقوم به مصالحنا في الدنيا . فهذا هو هدي الآية وما يعقلها الا العالمون

وروى ابن اسحق بسنده المتكرر الى ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) الآية . كذا في لباب النقول . وأقول جاءت هذه الآية والآيات بعدها في سياق دعوة أهل الكتاب الى الاسلام وبيان انه دين جميع أنبيائهم الذين يدينون بإجلالهم وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله موضع اجلال الفريقين منهم لما في كتبهم من الثناء عليه في العهد العتيق والعهد الجديد كما كانت قريش تجله وتدعي انها على دينه فأراد تعالى ان يبين لهم جميعا ان هذا النبي الكريم الذي كانوا يجلونه لم يكن على شيء من تقاليدهم وانما كان على الاسلام الذي يدعوهم هو اليه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبدأ بالاحتجاج على أهل الكتاب بقوله (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) أي فاذا كان الدين الحق لا يعدو التوراة كما تقولون أيها اليهود أولا يتجاوز الانجيل كما تقولون أيها النصارى فكيف كان ابراهيم على الحق واستوجب ثناءكم وثناء من قبلكم (أفلا تعقلون) ان المتقدم على الشيء لا يمكن ان يكون تابعا

له . فان خطر في بالك أيها القارئ ، ان هــذا يرد على القرآن فاصبر نفسك معي الى تفسير الآية الثالثة

(ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم) مما وهو خبر عيسى فقامت عليكم الحجة بأن منكم من غلا في الافراط اذ قال انه إله ومنكم من غلا في التفريط اذ قال انه دعي كذاب ولم يكن علمكم القليل به عاصمالكم من الخطأ في الحكم عليه (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) وهو كون ابراهيم يهوديا أو نصرانيا؟ أليس الواجب عليكم ان تتبعوا فيه ماأوحيه الله الى عبده محمد (ص) (والله يعلم وأنتم لاتعلمون) ثم بين تعالى ما يعلم من أمره فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا) أي مائلا عن كل ما كان عليه أهل عصره من الشرك والضلال (مسلما) وجهه الى الله تعالى وحده مخلصا له الدين والطاعة (وما كان من المشركين) الذين يسمون أنفسهم الحنفاء ويدعون أنهم على ملة ابراهيم وهم قريش ومن وافقهم من العرب وهذا من الاحتراس فقد كان أهل الكتاب يدعون العرب بالحنفاء حتى صار الحنيف عندهم بمعنى الوثني المشرك فلما وافقهم القرآن على إطلاق لفظ الحنيف على ابراهيم مستعملا له بالمعنى اللغوي احترس عما يوهمه الاطلاق من ارادة المعنى الاصطلاحي عندهم فصار معنى الآية أن ابراهيم المتفق على إجلاله وادعاء دينه عند أهل الملل الثلاث لم يكن على ملة أحد منهم بل كان مائلا عن مثل ماهم عليه من الوثنية والتقاليد مسلما خالصا لله تعالى . وليس المراد بكونه مسلما انه كان على مثل ماجاء به محمد صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلم من الشريعة بالتفصيل فانه يرد على هذا ان هذه الشريعة جاءت من بعده كما كانت التوارة والانجيل من بعده وانما المراد انه كان متحققا بمعنى الاسلام الذي يدل عليه لفظه وهو التوحيد والاخلاص لله في عمل الخير كما بينا ذلك بالتفصيل في تفسير (١٩ ان الدين عند الله الاسلام) وهذا المعنى لايستطيع أهل الكتاب إنكاره فان مافي كتبهم عن ابراهيم لايعدوه وما كان النبي يدعوهم الا اليه . وقد نسي أكثر المسلمين اليوم معنى الاسلام الذي يقرره القرآن وجمدوا على المعنى الاصطلاحي له فجعلوه جنسية غافلين عن كونه هداية روحية وما كان سلفهم الصالح كذلك

﴿ ان أولى الناس بابراهيم ﴾ أي أجدرهم بولايته وأحرام بموافقته ﴿ للذين اتبعوه ﴾ في عصره وأجابوا دعوته فاهتدوا بهديه ﴿ وهذا النبي والذين آمنوا ﴾ معه فانهم أهل التوحيد المحض الذي لايشوبه اتخاذ الأولياء ولا التوسل بالوسطاء والشفعاء وأهل الاخلاص في الأعمال الذي لايبطله شرك ولا رياء. وهذا هو روح الاسلام والمقصود من الايمان فمن فاته فقد فاته الدين كله لاتغني عنه التقاليد والرسوم ولاتنفعه الوسطاء والاولياء (٢٦ : ٨٨ يوم لاينفع مال ولابنون ٨٩ الا من أتى الله بقلب سليم) بأخذه بحقيقة الاسلام الذي شرع لتقبه القلوب وتزكية النفوس واعداد الارواح في الدنيا الى الدرجات العلى في الأخرى ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ الذين لايتوجهون الى غيره في كشف ضر ولا طلب نفع فهو يتولى أمورهم ويصلح شؤونهم ويتولى اثابتهم على حسب تأثير الاسلام في قلوبهم ويزيدهم من فضله . فنسأله تعالى أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ولايجعلنا من اهل الجمود على التقاليد الظاهرة الغافلين عن روح الاسلام المفتونين باتخاذ الاولياء والانداد . هذا وليس عندنا في هذه الآيات شيء عن الاستاذ الامام وما قلناه موافق لطريقته



تاريخ المصاحف

بقية ما كتبه موسى افندي جار الله الرومي

ثم أصيب الاسلام بموت عمر وولي عثمان فزادت الفتوح واتسع الامر وسعى الساعون في ايقاع الخلاف بنشر الاختلاف فدعت الحال الى نشر المصاحف المكتوبة على مشهدمن الصحابة عظم لجمع الصحابة , كانت عدتهم يومئذ بالمدينة تزيد على اثنى عشر الفا فطلب المصحف من حفصة أم المؤمنين واحضر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فكتبوا خمسة مصاحف من غير تغيير ولا تبديل عما كان عليه المصحف الذي كتبه زيد بأمر أبي بكر . وما ورد عن عثمان في الانفال وبراءة فابداء عما كان يراه قبل من انهما سورة واحدة اذ لم يقف على بيان من النبي صلى الله عليه وسلم . وقد شهد عثمان النسخ الاول وقد وقع الاجماع فيه على هذا الترتيب ولم يبد عثمان خلافا فيه ولو كان له رأي يرى الموجب عليه ان يظهره ، وما جرى بين عبد الله بن مسعود وبين عثمان من سؤال وجواب حكاية لما كان يراه عثمان قبل ، وأمر زيدا ان يقرئ بالمدني وبعث عبد الله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وابا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن قيس مع البصري ، وقرأ كل مصر بما في مصحفه على هؤلاء الصحابة ، ونسخوا من هذه المصاحف الخمسة مصاحف لا يحصى عددها فزيق في الامكان كيد الكائدين ولا رجم الواهمين بقي عثمان كذلك اثنى عشر عاما حتى مات وبموته حصل الاختلاف وابتدأ أمر الروافض . ثم تولى الامر علي ومكث وبقي خمسة اعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعا نافذ الامر ساكنا بالكوفة والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان وهو يؤم به الناس والمصاحف معه وبين يديه ، ثم بعده ابنه الحسن . وكان علي يثني ثناء على أبي بكر وعثمان فيما فعلا في المصاحف . ولو كان وقع من أبي بكر وعثمان تغيير في شيء بنقص أو زيادة (ولا يمكن ذلك لامتناع تواطىء الكثير المتفرق على التغيير في شيء فلو وقع من أحد لظهر ولافتضح المرتكب من ساعته) لما قدر على مذلة التحمل والصبر عليه بعد ما تولى الامر وهو الذي قاتل أهل الشام في رأي يسير رآه ورأوا خلافه . وعلي شهد النسخين ورأس في كلا الوقتين

غالب القول لم يزل فيصلا في القضايا نافذ الرأي حائز الجلايا

فلا يمكن ان أبا بكر وعثمان قد اسقطا بعض ما نزل في أهل البيت، ولم يكن أبو بكر وعثمان الا كغيرهما من الصحابة في شأن جمع القرآن . ولو كان نزل شيء في أهل البيت لتواتر كسائر الآيات وكتم ما شاع وذاع أمر محال لا يستطاع (١)

وعلماء الامامية رحمهم الله تعالى أجل من ان يقولوا قد وقع نقص في القرآن بمكر أبي بكر أو أمر عثمان . والشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه والسيد المرتضى علم الهدى ذو المجد ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي والقاضي نور الله في مصائب النواصب والامام الطبرسي في مجمع البيان هؤلاء أعلم علماء الامامية واعلام أئمتنا الاسلامية قد قالوا بامتناع وقوع التغيير في القرآن وقالوا ان العلم بتفاصيل القرآن وابعاضه كالعلم بكله وجملته . فمن رام في اسقاط بعض آيات نزلت . فليسع أولا في رفع كل القرآن وكتم أخبار انتشرت . وما نقل عن بعض علماء الشيعة من سقوط بعض آيات نزلت فلا أرى ان ذلك كان رأيا لهم يرونه انما ذلك من جملة بقايا اخبار كانت تنشر من هؤلاء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة والفتنة في المسلمين ومن عند الذين يبغون خبالا ويسعون فساداً في الدين

وقد كانت مثل هذه الاخبار أقوى وسيلة في الحصول على اغراضهم السياسية ففازوا فوزا عظيما في دعوتهم ، ونالوا فوق ما أملوا في كسر شوكة الامة الاسلامية وتفريق وحدتهم . وقد دس هؤلاء من أباطيل الاخبار شيئا كثيرا في الدين قد تلقاه واغتر به قوم من أهل الخير فادخلوه في دواوين الاحاديث والاخبار واسفار السنن والآثار.

وقد من الله علينا اذ جعل فينا رجالا عدولا ميزوا سمين نبينا عن موضوعات الاخبار وأكاذيب الآثار فسقوا من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . هذا وكل ما ذكرته من تاريخ القرآن والمصاحف فهو حق لان الامر كان ووقع كذلك ومن ادعى انتصاف الشمس في النهار فانما عليه أن يشير الى ما هنالك ومن خالف فلا يعتد به فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم نقلوا اخبارا ظنوا صحتها لا يرجع مثلها عن المعلوم المقطوع صحته والى قوم اتوا بأقوال لا يقوم لها من علم الشهود شاهد ولو انا سلكنا مسلكهم واستجزنا التدليس على انفسنا وارتكبنا مالم يرتكبه سلفنا

---

(١) يريد المؤلف بهذا الرد على ما ينقل عن بعض غلاة الشيعة من زعم كتمان الصحابة لآيات ادعوا أنها نزلت في آل البيت عليهم السلام كما سيصرح به

لاتينا بما يلبس بخصومنا امة · لكن يكفينا في بيان الحق ان نأتي بما كان · وليس من شأن العاقل ان يتمسك بما بعد من الحق وبان · وحيث وفينا الموضوع بعون الله تعالى بما استطعنا من البيان · وكان ذلك خير ماجنينا وخيار ما اقتطفنا من حدائق الاعيان · رأينا من واجب الاحسان علينا ان نأتي بما يدل على امتناع وقوع التحريف في القرآن · ونحن الآن نأخذ بحول الله وقوته في اجمال ماقصده العلماء في ذلك · وان نجمع ونلتقط ما انتشر في صحائف الدواوين من هنا وهنا وهنالك ·

البرهان الاول : ان النبي صلى الله عليه وسلم انتقل والصحابة ألوف مؤلفة ما منهم احد الاوهو يحفظ قسما وافرا من القرآن · وفيهم مئات يحفظونه كله بتمام الضبط والاتقان عن ظهر قلب · ثم ان الكثير منهم تشتتوا أثر ذلك في الاقاليم · وانتشروا في الاقطار استبدالا بمواطنهم الاصلية · أو تهيئا لعمل من الاعمال الملكية والدينية · ثم نسخت المصاحف ووصلت الى هذه الاعداد الكثيرة في المدن والبلاد · فلو كان وقع تغيير في كلمة أو تحريف في حرف لظهر ولثارت الامة وهاجت الخواطر على جامعي المصاحف وقاتلوهم قتالا ولاولا كثير من الناس لان احساس اقل تغيير فيه يجهل العباد أو يوقعهم في التشكيك في أصل الشرع يقضي بانه غير منزل من عند الله سبحانه وتعالى · الخلا نتسمع ان احدا من مسلم وغيره عارض في شيء من القرآن وادعى ذلك فيه · ولو وقع حبة تغيير فيه في العصر الاول لوقع تغييرات في العصور الاخيرة على سنن قانون الطبيعة في النمو · لكن القرآن قضى من أجله ثلاثة عشر قرنا وزيادة وملأت المصاحف وجه الارض وطباقها ولم يوجد مصحف يختلف عن الآخر بحرف واحد ·

البرهان الثاني : ان القرآن أكبر دلائل النبوة به ظهر الدين وعز شوكة المسلمين · هو آية ظلت اعناق الجبابرة لها خاضعين · فاذعنوا له بخفض الجناح طائعين لاوامره · عاملين باحكامه · فلا يمكن ان يرضى الامة تحريف شيء منه ولو كان دونه بذل المهج والنفوس ·

البرهان الثالث : من ألم بتاريخ الصحابة ونظر نظرة في صحاح الاحاديث يعلم أتم العلم ما كانت عليه الصحابة من غاية الاعتناء ونهاية الاهتمام في حفظ القرآن وضبطه حتى مقادير المدات · وتفاوت الامالات · ويعرف مالهم من مزيد العناية في ضبط الاحاديث والرواية · حفظا وكتابة ومن وفور الاحتياط وعظيم التثبت عند ادائها وتبليغها للامة ·

والعقل يحكم حكماً بالقطع، وضرورة باليقين ان الجم الغفير والجمع الكثير الذين أخذوا القرآن تلقياً عنه عليه السلام في تضاعيف عشرين سنة، وضبطوه حفظاً في الصدور وثبتاً في الصحائف والسطور لايجوز عليهم التخليط فيه ولا التغيير. وشعر الاقدمين مع انه لايمكن ان يظهر ظهور القرآن ولا ان يحفظ كحفظه ولا ان يضبط مثل ضبطه ولا ان تمس الحاجة اليه مساسها للقرآن لو زيد فيه بيت أو لفظ أو غير فيه حرف أو حركة لتبرأ منه أصحابه وأنكره أربابه. وطعن فيه عارفوه، وجحده راووه. وقد شوهد ذلك في كثير من الاشعار والخطب والاراجيز يعرفه من يعتني بلغة العرب ورواياتها.

فاذا كان ذلك مما لايمكن في شعر الاقدمين فكيف يجوز وقوعه في القرآن مع العناية الصادقة والضبط المتقن والعلم بانه دليل النبوة ونور الشريعة وملجأ الامة

البرهان الرابع: ان العلم بالقرآن كله وجملته فاق في الوضوح والاشتهار أشهر المتواترات من كبار الحوادث وعظائم الوقائع ومهمات الامور وحواضر الاحوال. والعلم بآيات القرآن وسوره وتفاصيله وابعاضه عند حفاظه ورواته في العصر الاول كالعلم به كله وجملته، فان العناية اذا ذاك توفرت، والدواعي اشتدت. والنوازع انبعثت الى حفظه الواسع وضبطه المتقن، والغايات تباينت والاغراض اختلفت: فمنهم من يضبطه لاتقان قراءته ومعرفة وجوهها وصحة ادائها. ومنهم من يحفظه لاستنباط الاحكام وبيان تعاليم الاسلام، ومنهم من يقصد بحفظه معرفة تفسيره ومعانيه والوقوف على غامضه وغرائبه. ومنهم من يعجبه بالغ فصاحته وفائق بلاغته ورائق اسلوبه وشائق نظمه وعجيب تأليفه. ومنهم من يحفظه استلذاذاً بتلاوته واستحباباً في كراته وتقرباً بقراءته وتعبداً بدراسته. ومنهم من يحفظه لمجرد التشرف بشرف حمله والقيام بواجب ادائه وتعليمه وهو الاغلب.

فبالضرورة لايمكن على أهل هذه الهمم العالية والاغراض المتفاوتة والغايات المتباينة مع كثرة اعدادهم وتباعد بلادهم ان يجتمعوا على التحريف والتغيير ويتواضعوا على التبديل

البرهان الخامس: لايخفى على الخبير بعلوم القرآن وطرقه الثابتة انه لم ينقض عصر الرسالة الا وتابع التابعون وأخذوا عن الصحابة مباشرة وقل فيهم من لايحفظ كل القرآن. وكان الرجل لايكون عظيماً في الاعين ولا يعد صاحب حديث مالم يحفظ عشرات آلاف من الحديث. فتتبعوا حفظة الصحابة في كل زمان ومكان

لنا بلغهم ان صحابيا كذا يحفظ آية كذا بلغة كذا من اللغات التي نزل بها القرآن (وسأبين معنى اللغات والاحرف في القرآن بما لا أظن ان الحق يتعداه ان شاء الله) الا ارتحلوا اليه ونقلوا عنه حتى حصروا القراآت التي قرأ بها القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم · ثم جاء قرن كان حفظ القرآن عندهم كأنه أمر لازم · وكان اقطار حوافظهم قد امتدت ودوائر احاطتهم قد اتسعت · فكثر فيهم من يحفظ مئات ألوف من الحديث ومن يحفظ من أشعار الجاهلية وأيام العرب وخطبها وأمثالها وأراجيزها مالا تسعها ضخام الاسفار كانوا يحفظون كل ذلك لاجل القرآن وعلومه فوضعوا علوم الرسوم والتجويد والقراآت وعلوم الدين وكل مبادئها

وكان من أساس دينهم في الله تشديد النكير على البدع وشدة الاعتصام بالسنة الثابتة والمحافظة على ماورد والوقوف عند حد أمر ثبت · وما مضى قرن الا وجاء الذي بعده محققا باحثا في علوم القرآن · جاريا على ماجرى عليه سلفه · كل انسان أحاط بعلوم القرآن خبرا يعلم ان طرقه ورسمه واختلاف رواياته كلها توقيف لم يتصرف فيها أحد بشيء · فوقوع التحريف في القرآن من مثل هذه الامة غير ممكن ·

البرهان السادس: الصدر الاول كانت [illegible] من اليهود وغيرهم · وكانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا [illegible] عليه السلام خصوصا وواقفين له ولقومه بالمرصاد ناصبين لهم حبائل الفتن موغرين عليهم صدور الناس · فلو عثروا على أدنى تحريف أو تغيير لشنوا على جامعي المصاحف غارة الفتنة · وشنعوا عليهم في جميع القبائل · ولكان ذلك من أعظم الفرص المساعدة على اتهامهم في نظر الامة · وأكبر الوسائل المؤدية الى تمزيق الجامعة الاسلامية وتشتيت كلمتها

كانت مدينة النبي عليه السلام غاصة بالمنافقين كان عرفهم بسيماهم ويعرفهم في لحن اقوالهم كانوا يحضرون في مجالسه يسمعون منه ويقرأون في من قرأ ويصلون مع من صلى

وهم في كل لحظة يترقبون هفوة تصدر منه ليتخذوها ذريعة الى رد الناس عن الايمان به · وقد صاحبوا أصحابه بعده ولم يسمع ان واحدا منهم قال بتغيير حرف من القرآن وهم أولى الناس بذلك واقدرهم على فرص وقوعه لتهاجمهم الاصل من النبي · وتتابع الفتن المساعدة لهم في طعن الدين بأكبر المطاعن ·

أمة عرفت اقوال نبيها وتحتها · وبحث فيها بحث تدقيق ونقدتها · وروت

من اخبار العصر الاول ماعلمها قبل نقل ملقا . أمة خابتها بكلام ربما اضاف خابئها بأحاديث نبيه يستحيل عليها أنها عكفت على هذا الدين وفي القرآن أقل تغيير فاش انه ليس من عند الله .

أمة انا سمع عالمها بيتا من الشعر واستطلع معناه قال هذا مأخوذ من قول فلان الجاهلي أيغيب عنها البحث في القرآن هل وقع فيه تغيير وشيء جديد . أوهو باق على ما كان عليه تنزيل من حكيم حميد اه



خلاف الامة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة

(لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الامام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه)

مقدمة لصاحب المنار

شرع الله تعالى لعباده على ألسنة جميع رسله ان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ولكنهم كانوا يتفرقون في كل أمة فيزول ما أريد بالدين من معنى الاجتماع والائتلاف حتى اذا ما شرع الله لهم الدين العام الباقي على خاتمة الأديان شدد فيه التنفير من التنازع والتفرق والاختلاف وأكد الأمر بالاعتصام والاتحاد والائتلاف وقال لخاتم النبيين (٦ : ١٥٩ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) ومع ذلك لم تسلم هذه الامة من اتباع سنن من قبلها والاختلاف كما اختلفوا أو أشد . ولما وقع الخلاف وكثرت المذاهب وصار لكل فريق أنصار يخالفون الآخرين ويطعنون عليهم امتاز أهل الحق المعتصمون بحبل الله بالدعوة الى الاجتماع والالفة والتباعد من التنازع والفرقة وجعلوا المرجع في ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عملا بقوله عز وجل (٤ : ٥٩ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فكتاب الله ثابت لانزاع فيه وسنة رسوله معلومة لاخلاف فيها فما جرى عليه وتبعه فيه أصحابه على طريقة واحدة بلا خلاف بينهم يمتنع فيه الخلاف من المؤمنين وما اختلف فيه العمل كان المؤمنون مخيرين فيه لاينازع أحد منهم أخاه إن أخذ غير ما أخذ هو به وكل جائز

وقد سمي هؤلاء بأهل السنة والجماعة لأنهم يحكون السنة العملية المتبعة فيما هو حتم وفيما هو مخير فيه ويختارون الاجتماع والاتفاق على الخلاف والافتراق ولذلك كان من مزاياهم التباعد عن تكفير أهل القبلة وتضليلهم لاجل الخلاف والعمدة عندهم في صحة الايمان وولاء أخوة الاسلام هو الاخذ المجمع عليه في العصر الاول المعلوم من الدين بالضرورة ويعذرون من أخطأ فيما عدا ذلك

ثم إن علماء أهل السنة قد كانوا ينظرون في وجوه الترجيح بين ما اختلف فيه عمل أهل العصر الاول أو الرواية عنهم فيأخذ كل واحد ما يراه أرجح مع كونه يعذر من يأخذ بغير ما اختاره هو لا سيما اذا كان رأيا لا رواية ثم حدث في الامة التقليد وصار كل فريق يتعصب لعالم من أئمة علماء الامصار من بعدهم فساد بذلك التفرق والاختلاف الممقوتان عند الله الى المنتسبين الى أهل السنة والجماعة ووجد بذلك أهل البدع ما وجدوا من المطاعن عليهم وعلى مذهبهم بل كان ذلك مما طعن به في أصل الدين

سبق لنا قول في هذا الخلاف ومضاره ووجوب تلافيه واتقاء أخطاره أودعناها مقالات محاورات المصلح والمقلد (التي جمعت من المنار وطبعت في كتاب مستقل) وأيدناه بما كتبه حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم من الدعوة الى إزالة الخلاف بالاخذ بالمجمع عليه والتخيير في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على تحريمه ويؤدي كل ما أجمع على وجوبه ويفعل ما سهل عليه مما أجمع على ندبه واستحبابه ولكن المرزوئين بالتعصب للمذاهب يسهل عليهم قطع أخوة الايمان بسبب خلاف في رواية أو رأي مما لم يجمع عليه المسلمون وهم مع ذلك يتركون بعض الفرائض ويرتكبون بعض المحرمات ويحسبون ذلك أهون من الخلاف في الدين

وقد قرأنا في هذه الايام رسالة لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية في مسألة الخلاف في العبادات وحقيقة السنة والجماعة فآثرنا نشرها رجاء ان ينفع الله بها المسلمين (٥١: ٥٥ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) قال رحمه الله تعالى وأثابه

(قاعدة) في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة في الرواية والرأي مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون

(أحدها) جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالامر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته والذي أمرهم باتباعه

(الثاني) ظلم كثير من الامة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيهم عليهم تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه وبغضهم على ما لم يبغضهم الله عليه وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثرونه حتى يقدمون في الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك

(الثالث) اتباع الظن وما تهوى الانفس حتى يصير كثير منهم متدينا باتباع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الاهواء من جنس ما في أهل الاهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال تعالى في كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال في كتابه (لاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

(الرابع) التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله وحتى يفضي الأمر ببعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللمز وببعضهم الى الاقتتال بالايدي والسلاح وببعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الامور التي حرمها الله ورسوله والاجتماع والائتلاف من أعظم الامور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن

الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - الى قوله - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ٭ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها ورسوله وقال الى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال تعالى (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات) وقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة ٭ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة) وقال تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) وقال (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) وقال (الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) وهذا الاصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وان لا نتفرق هو من أعظم أصول الاسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه

ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » وقوله « فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقوله « من رأى من أميره شيأ يكرهه فليصبر عليه (١) فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبئكم بافضل من درجة

(١) لعل المراد بالشيء الذي يكره مالا يخالف الشريعة لا يعرض في أحاديث كثيرة ان الطاعة في المعروف وعلى ذلك بالمعروف وهو المعصوم وانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « صلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » وقوله « من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريد ان يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان » وقوله « يصلون لكم فان أصابوا فلكم وان اخطأوا فلكم وعليهم » وقوله « ستفترق هذه الامة على اثنتين وسبعين فرقة منها واحدة ناجية واثنتان وسبعون في النار - قيل ومن الفرقة الناجية قال - هي الجماعة يد الله على الجماعة » وباب الفساد الذي وقع في هذه الامة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وان كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطأه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك لكن يعلم ان رعايته من أعظم أصول الاسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الامة بالسنة والجماعة ويذكرون في كثير من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الاصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة

(النوع الخامس) هو شك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفي بعض ما عليه أهل الاسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة نقلهم وروايتهم تارة ومن جهة نظرهم ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم الله الذكر الذي أنزله على رسوله وأمر أزواج نبيه بذكره حيث يقول (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) حفظه من ان يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الامة ان تجتمع على ضلالة فعصم حروف التنزيل ان يغير وحفظ تأويله أن يضل فيه أهل الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ما ليس فيها من الكذب عمدا اوخطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه الذين لحصوا عنها وعن نقلتها ورواتها وعلموا من ذلك ما لا يعلم غيرهم حتى صاروا مجتمعين على ما تلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لاسباب

يطول وصفها في هذا الموضع وعلموا هم خصوصا وسائر علماء الامة بل وعامتها عموما ما صانوا به الدين عن ان يزاد فيه أو ينقص منه مثلا علموا انه لم يفرض عليهم في اليوم والليلة لا الصلوات الخمس وان مقادير ركعاتها بين الثنائي والثلاثي والرباعي وانه لم يفرض عليهم من الصوم الاشهر رمضان ومن الحج الاحج البيت العتيق ومن الزكاة الا فرائضها المعروفة الى نحو ذلك وعلموا كذب أهل الجهل والضلالة فيما قد يأثرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكذب من يزعم من الرافضة ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصا قاطعا جليا وزعم آخرين انه نص على العباس وعلموا أكاذيب الرافضة والناصبة التي يأثرونها في مثل الغزوات التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرويها المكذبون الطرقية مثل أكاذيبهم الزائدة في سيرة عنتر والبطال حيث علموا مجموع مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان القتال فيها كان في تسعة مغاز فقط ولم يكن عدة المسلمين ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية ليزيد بن معاوية ونحوه والاحاديث التي يرويها كثير من الكذابة في الاوجاع ونحوه والاحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات أيام الاسبوع وفي صلوات أيام الاشهر الثلاثة والاحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو واصحابه وتواجده وسقوط البردة عن ردائه وتمزيقه الثوب واخذ جبريل لبعضه وصعوده به الى السماء وقتال اهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاته ليلة الإسراء والاحاديث المأثورة في نزول الرب الى الارض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم له في الارض بين رأسه وأمثال هذه الاحاديث المكذوبة التي يطول وصفها فان المكذوب من ذلك لا يحصيه احد الا الله تعالى لأن الكذب يحدث شيئاً فشيئاً ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وانما يكون موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الانبياء وكان من الدلائل على انتفاء هذه الامور المكذوبة وغيرها وجوه

(احدها) ان ما توفرت همم الخلق ودواعيهم على نقله واشاعته يمتنع في العادة

كتمانه، فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم الجمعة واخبر بحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وإمساك أقوام في المسجد اذا لم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر ان في الطرقات بلادا عظيمة وأمما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وانما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمعادن ذهب وفضة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس ولم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار العقل وقياسه وضربه الامثال يعلم كذب ما ينقل من الامور التي مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق مامضت سنة الله في عباده انهم لايتواطئون فيه على الكذب من الأمور المتواترة والمنقولات المستفيضة فان الله جبل جماهير الامم على الصدق والبيان في مثل هذه الامور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الاكل والشرب واللباس فالنفس بطبعها تختار الصدق اذا لم يكن لها في الكذب غرض راجح وتختار الاخبار بهذه الامور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم بعضا ويحبون من الاستخبار والاستفهام عما يقع وكل شخص له من يؤثر ان يصدقه ويصدق له دون ان يكذبه ويكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لاتنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على الناس الاالصحة وعلى أنفسهم الا البقاء فالغرض هنا ان الامور المتواترة يعلم انهم لم يتواطئوا فيها على الكذب والاخبار الشاذة يعلم انهم لم يتواطئوا فيها على الكتمان

(الوجه الثاني) ان دين الامة يوجب عليهم تبليغ الدين واظهاره وبيانه ويحرم عليهم كتمانه ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على كتمان مايجب بيانه كتواطئهم على الكذب وكلاهما من أقبح الامور التي تحرم في دين الامة وذلك باعث موجب الصدق والبيان.

(الثالث) انه قدعلم من عدل سلف الامة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ الدين واظهاره وعظيم مجانبتها الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب أعظم العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما نقلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه وهذه

العادة الحاجية الخاصة الدينية لهم غير العادة العامة المشتركة بين جنس البشر.

(الرابع) ان العلماء الخاصة يعلمون من نصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لامر الله ورسوله ومن دين آحادهم مثل الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبي الدرداء الى ابن عمر وابن عباس وابن عمرو وغيرهم يعلمون علما يقينا لا يتخالجه ريب، امتناع هؤلاء من كتمان قواعد الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يعلمون امتناعهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير بمعرفة ذلك مثل الزهري وقتادة ويحيى بن أبي كثير ومثل مالك والثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم أمورا يعلمون معها امتناعهم من الكذب وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الامور العظيمة التي تأبى أحوالهم كتمانها لو كانت موجودة ولهم في ذلك أسباب يطول شرحها وليس الغرض هنا تقرير ذلك وانما الغرض التنبيه على ماوقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الاهواء

قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بما من الاذان ولا قلتم فانه كان يعمل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف في صفته وكذلك الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائعه وقد وقع الاختلاف في نقلها وذكروا نحو هذه الامور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند بعض الناس وجعلوا هذا معارضا لما تقدم ليسوغوا ان يكون من أمور الدين مالم ينقل بل كتم لأهواء واغراض وأمثلة الرأي والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم في صفات العبادات بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الاهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لا يكون في جهتين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويعبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجمهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الاهواء لما جعلوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا من سبل الشيطان فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له وأصل

من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض ووضع لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وانه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة بذلك التوسل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والالحاد فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أوزاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكمية وغيرهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والرفض والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل وتطعن في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويعللون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أرباب الملة من اسباب الطعن فيها وفي أهلها فيكون بعض هؤلاء المنتسبين ببعض هذه الامور الصغار ساعيا في هدم قواعد الاسلام الكبار

﴿ فصل ﴾

اذا تبين بعض ما حصل في هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فنحن نذكر طريق زوال ذلك ونذكر ما هو الواجب من الدين في هذه المنازعات وذلك ببيان الاصلين الذين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاء

اما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه اعرف عند عموم الخلق ولهذا يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنونه من معاني الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات انما هي في أمور مستحبات ومكروهات لا في واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمتعا أو مفردا أوقارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا في الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب أو يمنع ذلك فمن الشيعة من يوجب المتعة ويحرم ما عداها ومن الناصبة من يحرم المتعة ولا يبيحها بحال

وكذلك الأذان سواء رجع فيه أولم رجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء ربع التكبير في أوله أوثناه وانما يخالف في ذلك بعض

شواذ المتفقهة كما خالف فيه بعض الشيعة فاوجب له الحيعلة بحي على خير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والتثنية بأيتهما قام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الاما تنازع شذوذ الناس

وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب احدهما أو يكره الآخر أو يختار ان لا يقرأ بها فالمنازعة بينهم في المستحب والا فالصلاة باحدهما جائزة عند عوام العلماء فانهم وان تنازعوا بالجهر والمخافتة في موضعهما هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك وأحمد وغيرهما فهذا في الجهر الطويل بالقدر الكثير مثل المخافتة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الظهر فاما الجهر بالشيء اليسير أو المخافتة به فما لا ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما اعلم احدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في صلاة المخافتة يسمعهم الآية احيانا وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال من المتكلم ؟ قال أنا قال لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول » ومعلوم انه لولا جهره بها لما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم ان المستحب للمأموم المخافتة بمثل ذلك وكذلك ثبت في الصحيح عن عمر انه كان يجهر بدعاء الاستفتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا آله غيرك وهذا فعله بين المهاجرين والانصار والسنة الراتبة فيه المخافتة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة وفي الصحيح عن ابن عباس انه جهر بقراءة الفاتحة على الجنازة وقال لتعلموا انها السنة ولهذا نظائر وايضا فلا نزاع انه كان من الصحابة من يجهر بالبسملة كابن الزبير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل احد منهم صلاة احد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا في وجوب قراءتها فتلك مسئلة أخرى

وكذلك القنوت في الفجر انما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهيته وسجود

السهو لتركه أو فعله والا فهاتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه ليس بواجب وكذلك من فعله اذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع ولو فعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما اعلم

وكذلك القنوت في الوتر هل هو في جميع الحول أو النصف الآخر من رمضان انما هو في الاستحباب اذ لا نزاع انه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة به وكذلك كونه قبل الركوع أو بعده

وكذلك التسليمة الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أو في الكاملة فقط أم ليست مشروعة هو نزاع في الاستحباب لكن عن أحمد رواية ان التسليمة الثانية واجبة في الصلاة الكاملة اما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهو على نزاع في ذلك والرواية الاخرى الموافقة للجمهور انها مستحبة في الصلاة الكاملة أما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهو على نزاع في ذلك والرواية الأخرى الموافقة للجمهور انها مستحبة في الصلاة الكاملة

وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع في المستحب منها والا فلا نزاع في انه يجزىء ذلك كله، وكذلك أنواع التشهدات كلها جائز ما أعلم في ذلك خلافا الا خلافا شاذا وانما النزاع في المستحب

وكذلك أنواع الاستفتاح في الصلاة وأصل الاستفتاح انما النزاع في استحبابه وفي أي الانواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل نذكر قولا في مذهب الامام أحمد

واذا كان النزاع انما هو في الاستحباب علم الاجماع على جواز ذلك وأجزائه ويكون ذلك بمنزلة القرآت في القرآن فان جميعها جائز وان كان من الناس من يختار بعض القرآت على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم ان ذلك جميعه جائز مجزيء في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضارا بل قد يكون النوعان سواء وان رجح بعض الناس بعضها ولو كان احدهما أفضل لم يجز ان يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطيء لا يجوز ذمه باجماع المسلمين ولا يجوز التفرق بذلك بين الامة ولا أن يعطى المستحب فوق

حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير ولايجوز ان تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمتنع الرجل من تركها ويرى انه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم ان ائتلاف قلوب الامة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسنا وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب وقد اخرجا في الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها «لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالارض ولجعلت لها بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه» وقد بين احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على ان الامام قد يترك بعض الامور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعا لنفرتها ولهذا نص الامام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لأن أهلها اذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف وليعلمهم انه يقرأ بها وقال غيره بل لأنهم كانوا لا يقرؤنها بحال فيجهر بها ليعلمهم انه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وبهذا يزول الشك والطعن فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم انه داخل في المشروع فالتنازع في الرجحان لايضر كالتنازع في رجحان بعض القراآت وبعض العبادات وبعض العلماء ونحو ذلك بل قد امر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء ان يقرأ كما يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله فاما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك

وأما الاصل الثاني فنقول السنة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها من السعة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على بعض الناس أما الاذان فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم سن في الاقامة الايتار والشفع ففي الصحيحين انه أمر بلالا أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة وفي صحيح مسلم انه علم أبا محذورة الاقامة مثنى مثنى مثل

الاذان فاذا كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بحرف ولهشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله ان يقرأ به

وكذلك الترجيع في الاذان هو ثابت في أذان أبي محذورة وهو محذوف من أذان بلال الذي رووه في السنن وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة بها صح الجهر بها عن طائفة من الصحابة وصحت المخافتة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الامران جميعاً واما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحاح والسنن يقتضي انه لم يكن يجهر بها كما عليه عمل أكثر الصحابة وأمته ففي الصحيح حديث أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لا شبهة فيها وفي السنن أحاديث أخر مثل حديث ابن مغفل وغيره وليس في الصحاح والسنن حديث فيه ذكر جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا في أمهات الدواوين منها شيئاً ولكن في الصحاح والسنن أحاديث محتملة وقد روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها اذ كان بمكة وانه لما هاجر الى المدينة ترك الجهر بها حتى مات ورواه أبو داود في الناسخ والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة فلم يكونوا يجهرون بها وكذلك أكثر البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألوا أنساً عن ذلك ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها بعض الاحيان أو جهرا خفيفاً اذا كان ذلك محفوظا واذا كان في نفس كتب الحديث انه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة

واما القنوت فأمره بين لا شبهة فيه عند التأمل التام فانه قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قنت في الفجر مرة يدعو على رعل وذكوان وعصية ثم تركه ولم يكن تركه نسخاً له لانه ثبت عنه في الصحاح انه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو على مضر وثبت عنه انه قنت أيضاً في المغرب والعشاء وسائر الصلوات قنوت استنصار فهذا في الحقيقة منقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين انه تركه ترك

نسخ فاعتقد ان القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكيين انه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي عليه أهل المعرفة بالحديث انه قنت لسبب تركه لزوال السبب فالقنوت من السنن العوارض لا الرواتب لأنه ثبت انه تركه لما زال العارض ثم عاد اليه مرة أخرى ثم تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح انه لم يقنت بعد الركوع الا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه انه قنت القنوت المتنازع فيه لا قبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعي وغيرهما ومن المعلوم قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنوتا يجهر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقول في القنوت العارض وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى ان ينقل دعاؤه فيه فاذا كان الذي تستحبه انما يدعو فيه بقنوت الوتر علم انه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم عدم النص على هذا وامثاله فانه من الممتنع ان يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فانه انما يعلم بطلانه قطعا وكذلك المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما انما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعاء عمر فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الخ يقتضي انه دعا به عند قتاله النصارى وكذلك دعاء علي عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذي فيه عن أنس انه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في اسناده وانه ليس في السنن انما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس انه قال لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع الا شهرا والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل اذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام كما قد بيناه في غير هذا الموضع

وأما حجة الوداع وان اشتبهت على كثير من الناس فانما أتوا من جهة الالفاظ المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول انه تمتع بالعمرة الى الحج وهؤلاء أيضا يقولون انه أفرد الحج ويقول بعضهم انه قرن العمرة الى الحج ولا خلاف في ذلك فانهم لم يختلفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه وانه

كان قد ساق الهدي ونحره يوم النحر وانه لم يعتمر بعد الحجة في ذلك العام لاهو ولا احد من اصحابه الا عائشة أمر أخاها ان يعمرها من التنعيم أدنى الحل وكذلك الاحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفا والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الاول فالذين نقلوا انه أفرد الحج صدقوا لأنه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة كما يتوهم من يقول ان القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم يتمتع تمتعا حل به من احرامه كما يفعله المتمتع الذي لم يسق الهدي بل قد أمر جميع أصحابه الذين لم يسوقوا الهدي ان يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة ويهلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم

﴿ باب المقالات ﴾

منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق . الاستبداد

(٢)

﴿ الفائدة الثانية الخروج من الاستبداد ﴾

أتى على الشرق حين من الدهر كان يعبد فيه الملوك عبادة حقيقية ويسميهم آلهة ويدعوهم أربابا وهو لم يسلم من هذا الاعتقاد سلامة تامة عامة الى اليوم ثم ارتقى بعض شعوبه الى الاعتقاد بأن الملوك ليسوا آلهة خالقين ولكنهم أصحاب سلطة إلهية وسيادة ربانية تجب طاعتهم عدلوا أوظلموا ، وتقديسهم اساؤا أو أحسنوا ، ثم جاء الاسلام باصلاح جديد فجعل أمر المؤمنين شورى بينهم وأمر أصحاب الرأي السديد والمعرفة بالمصالح العامة واجب الامتثال في سياسة الامة وادارتها حتى لا يطمع فرد من الافراد بالاستئثار بالسلطة والاستبداد بالأمر . وجرى النبي صلى الله عليه وسلم في سياستهم على هذه القاعدة فكان يقدم رأي أصحاب الرأي المعبر عنهم بأولي الأمر على رأيه كما فعل يوم أحد اذ كان صرح بأنه لا يرى الخروج الى حرب قريش حتى تصل الى المدينة ورأى أصحابه الخروج فعمل برأيهم وكما فعل يوم بدر والاحاديث في ذلك كثيرة

شهيرة - ولكن الشرق لم يكن تم استعداده لهذا الاصلاح الاعلى لما بيناه في مقال (طبيعة الاجتماع في الحاكين والمحكومين) لذلك تسنى لبني أمية أن يعبثوا به ويزيلوه في زمن قريب

ولي أبو بكر رضي الله عنه أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وقال : وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوموني : وولي عمر رضي الله عنه فقال نحو ذلك في خطبته ، ومن المشهور المستفيض على الألسنة انه لما قال على المنبر : من رأى منكم فيّ عوجا فليقومه : قام رجل فقال لو رأينا فيك عوجاً لقومناه بسيوفنا فقال : الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوّم عوج عمر بسيفه ؛ ومما روي عن عثمان رضي الله عنه انه قال على المنبر « أمري لأمركم تبع » وقال في أول خطبة خطبها بعد أن ولي الخلافة الاوان لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ثلاثا اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ والكف عنكم الا فيما استوجبتم »

فانظر كيف قيد اتباع من كان قبله بكونه فيما اجتمعوا عليه وسنوه فهو دليل وراء الادلة العملية على ان أبا بكر وعمر كانا يأخذان برأي الأمة ، فيما لم يرد به الكتاب ولم تمض به السنة ، وتأمل قوله « فيما لم تسنوا عن ملأ » والملأ الجماعة من أهل الرأي والمكانة في الأمة وهم بمعنى النواب

أما سيرة علي كرم الله وجهه ورضي عنه فهي على تلك السنة ماغير ولا بدل ولا رغب في الدنيا ولا جنح الى زخرفها ولكن نزا عليه بنو أمية أعداء بني هاشم في الجاهلية والاسلام وكان من أمرهم ما كان ولا محل لشرحه في هذا التمهيد . وانما غرضنا أن نقول إنهم استبدوا عملا وما عتموا أن جهروا بالخروج عن سنن الاسلام في حكمه قولا اذ قال خطيبهم عبد الملك بن مروان على المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » فتحولت الحكومة الى استبدادية كانت على حسب سيرة الحاكم الاعلى الملقب بالخليفة أو الملك فتارة يكون عادلا كعمر ابن عبد العزيز وتارة يكون جائرا وتارة متوسطاً وكان معظم ظلمهم وظلم من

بعدهم لمن يأنسون منه سخطا من سلطتهم أو مقاومة لها وسائر الناس في راحة وأمان ، يتقدم به العلم ويزهو العمران ، حتى استدار الزمان ، ورجع الشرق الى نحو ما عليه كان ،

أخبار الممالك يقل في القارئين من لا يعرفها ، وسيرة اسماعيل باشا لم يمت جميع من ذاقوا مرارتها ، ومفاسد بايات تونس مأثورة ، ومنكرات دايات الجزائر غير منكورة ، كان من هؤلاء من يعاقب الناس الذين يحل عليهم غضبه ولو لحفظ عرضهم من فسقه بإحدى ثلاث — الخازوق أو ترديته من أعلى جبل قسطينة أو إغراء كلاب عاقرة به تنهشه وتمزق لحمه حتى يموت شر ميتة . كان هذا قبل إغارة فرنسا على الجزائر . ولا يجهل أحد من قراء الصحف حال بقية الممالك التي لما تؤثر فيها حالة الأوربيين ولم تحملها على تغيير سلطتها الاستبدادية إما لجهلها بها لعدم الاختلاط بهم والاقتباس عنهم والوقوف على حال حكوماتهم كراكش وإما لأن السلطة الاستبدادية فيها لا تزال أقوى وأقدر على منع العلم عن الجاهلين ، مع مقاومة تلاقي الاصلاح من العارفين ، كما هو شأن الحكومة العثمانية

ان محاربة الاستانة للعلم والدين ، ومطاردتها العقلاء والعارفين ، لفوق ما يتخيل المتخيلون ، لأنها اضعاف ما يروي الراوون ، ان أكثر المطبوعات العربية الجديدة التي تصدق مصر من آيات الارتقاء التي استعدت أو تستعد بها الامة لأن تحكم نفسها بنفسها هي في الولايات العثمانية من اشد الجنايات وأعظم الجرائم تضطرب لذكرها القلوب وترتعد الفرائص حتى من أولئك الذين يسفكون الدماء بالاسواق في وقت الضحى لأن سافك الدم كثيرا ما يسلم بالرشوة أو المحاباة ، واذا حوكم لا تبرأت المحاماة ، واذا حكم عليه يدركه العفو في أحد الأعياد بعد عشر سنين أو اقل ، أما من يتهم باقتناء كتاب مما يعد منها للافكار أو يطلبه من مصر فلا يتجرأ أحد على الدفاع عنه ، ولا على الارتشاء منه ، ولا يؤخذ منه عدل ولا تنفعه شفاعة ،

كم من عالم عامل ، ومن غيور فاضل ، يئن في ظلمات السجن لا يتجرأ أحد على ذكره ولا التسؤل عنه ، وكم من عالم وغيور أخرج من داره ، ونفي الى حيث لا يسمع أهله وولده بذكره ، وما كنت عازما على الاشارة الى مثل هذا لولا أن

ألقي الي قبل هذه الكتابة رقيم من الحجاز فيه ان أمير مكة جلد بعض أهل العلم مئة جلدة على مشهد من الناس ثم كبّه في السلاسل والاغلال لأنه كتب كتابا في التوحيد قال فيه ان الأمر كله لله لاينبغي ان يطلب الخير ودفع الضر من غيره عز وجل بعد العجز عن الأسباب التي سنها واستعمال القوى التي وهبها فصار إظهار التوحيد الخالص ممنوعا بهذه الحكومة في حرم الله ، وقد كان أعظم مظاهر له في أرض الله ،

هذا واليابان تفاخر أوربا بالحرية والعدل وحكم الشورى وإيران تحاول مجاراتها في ذلك ومصر لاحديث لها الا المجلس النيابي فمن أبنائها من يلح بطلبه الآن ومنهم من يقول يجب أن نمدله أولا نعده ، ونكتفي الآن بتوسيع اختصاص مجلس الشورى ومجالس المديريات . وقد سبقهم التونسيون الى المطالبة باعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان (أي النواب) وأرى أم حديث الجرائد التونسية في هذه الأيام حديث مجلس الشورى عندهم والمطالبة بانصاف التونسيين من الأوربيين

لكن الفرق بين المصري و[illegible] ان [illegible] في بلده ويناقش حكومته جهرا في المجالس الرسمية وفي الجرائد وفي المحافل العامة والخاصة وقد يطعن عليها وعلى الدولة المشرفة عليها وهي تبيح له ذلك والعثماني لايجرأ على الحديث بذلك في بلاده وان كان في كسر بيته قد أغلقت ، دونه الأبواب ، وأرخيت عليها السجوف والاستار ، لأنه أعلم الناس بالمثل القائل « الحيطان آذان » وهو لايأمن على نفسه الاهل والجيران ، لأن الاستبداد ، قد أفسد الناس أي افساد ، حتى صار الرجل الحر يفر من أخيه ، وأمه وأبيه ، وفصيلته التي تؤويه ، والتاجر بذلك في أوربا ومصر ، وكل بلاد ليس فيها لأبناء جنسه سلطان ولا حكم ،

فأعظم فائدة استفادها أهل الشرق من الأوربيين معرفة مايجب ان تكون عليه الحكومة واصطباغ نفوسهم بها حتى اندفعوا الى استبدال الحكم المقيد بالشورى والشريعة بالحكم المطلق الموكول الى ادارة الافراد فنهم من نال أمله على وجه الكمال كاليابان ، ومنهم من بدأ بذلك كإيران ، ومنهم من يجاهد في سبيل ذلك بالقلم واللسان ، كمصر وتركيا

ليست هذه الفائدة بالشيء التافه ولا بالامر اليسير ولا هي بالمنفعة التي تقرن بالظاهر بل هذه مرتبة البشرية العليا، في هذه الحياة الدنيا، فان القوم الذين يرضون ان يستبدبهم حاكم يفعل فيهم مايشاء ويحكم بما يريد ينبغي ان يعدوا من الدواب الراعية، والانعام السائمة، إذن هذه الفائدة هي عبارة عن الارتقاء من حضيض البهيمية، الى أفق الانسانية، فحسب الشرق أن استفاد هذه الفائدة وعرف قيمتها

لاتقل أيها المسلم ان هذا الحكم أصل من أصول ديننا فنحن قد استفدناه من الكتاب المبين ومن سيرة الخلفاء الراشدين، لامن معاشرة الأوروبيين والوقوف على حال الغربيين، فانه لولا الاعتبار بحال هؤلاء الناس لما فكرت أنت وأمثالك بأن هذا من الاسلام ولكان أسبق الناس الى الدعوة الى إقامة هذا الركن علماء الدين في الاستانة وفي مصر وفي [illegible] لا يزال أكثرهم يؤيد حكومة الأفراد الاستبدادية و[illegible] أكثر طلاب حكم الشورى المقيدم الذين عرفوا أوروبا [illegible] ذلك. ألم تر الى بلاد مراكش [illegible] استبدادها ولا تسمع من أحد كلمة «شورى» مع أن أهلها من أكثر الناس تلاوة لسورة الشورى ولغيرها من السور التي شرع فيها الأمر بالمشاورة وفوض حكم السياسة الى جماعة أولي الأمر والرأي

فان قلت ان أول من نبه المصريين الى حقوق الأمة على الحاكم والى تفضيل حكومة الجمهورية والملكية المقيدة على الحكومة الاستبدادية شيخان من شيوخ الدين واماما من أئمة الاسلام وهما السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده وانك أنت قد نشرت في «المنار» مقالات للسيد مقالات في «الحكومة الاستبدادية» كانت مما نشره هو في بعض الجرائد على عهد اسماعيل باشا وهي تحرك الجماد وصرحت في ترجمة الشيخ بأنه كان يدعو الى ذلك وانه قال بل كتب من نفسه هذه الكلمة الجليلة «دعوتنا الى هذا والاستبداد في عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيد له أي عبيد» وقد كان مضى على المصريين أكثر من

نصف قرن وهم يتدارسون علوم أوربا ويشتركون مع الأوربيين في كثير من الأعمال ويزاحمون معهم بالمناكب ويتداولون بالأموال ، ولم يخطر في بالهم ان يقلدوهم باصلاح الحكومة والسيطرة عليها

ان قلت هنا محتجا على انا نحن المسلمين ، قد اقتبسنا فائدة مقاومة الاستبداد من الدين ، فان لي أن أجيبك عن ذلك بأني لا أنكر ان ديننا يفيد ذلك كما رأيت في مقدمة هذا المقال . كيف واني لم أطلع على كتابة لأحد في ذلك أوسع مما كتبته في « المنار » واني مطلع على سيرة هذين الامامين الحكيمين وعالم بأنهما كانا قد ساعدا توفيق باشا قبل ان يصير الأمر اليه على نصره وساعدهما هو على انشاء مجلس نيابي وعلى تعميم التعليم في القطر المصري ، ومع هذا كله أقول اننا لولا اختلاطنا بالأوربيين لما تنبهنا من حيث نحن أمة أو أمم الى هذا الأمر العظيم ، وان كان صريحا جليا في القرآن الحكيم ، ثم ان استاذينا الحكيمين رحمهما الله تعالى أهل لأن يفهما ذلك من القرآن [illegible] أول من [illegible] في هذا العصر الى جعله أساسا للإصلاح وبينا من حكمه وفضله ما [illegible] عن الآيات بمثله ، ولكن كلامنا في تنبه الشعوب الشرقية على اختلاف مللها ونحلها ، لا تنبه فيلسوفين من أهل ملة منها ، على أن هذين الحكيمين قد استفادا من الاختبار بحال أوربا وعرفا حال أهلها قبل دعوتهما الى هذا الإصلاح

لا ينبه الامة الى مثل هذا التغيير العظيم الا الاحساس بالخطر والخوف من سوء العاقبة ورؤية العبر بأعينها ، وسماع أخبار الذين صرعوا الاستبداد من قبلها ، ولذلك نقول اننا ماعرفنا قيمة هذه الفائدة الا بعد أن أحسسنا بالغائلة التي تقابلها وهي مراقبة استقلالنا والاعتداء عليه وهي ماسنبينه في قسم المضار ان شاء الله تعالى

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

أسئلة من بعض أهل العلم بتونس

التوحيد وتوفي ملك الموت الناس

(س ١٤) أعظم أساس أقيم عليه هيكل الاسلام توحيد الله تبارك وتعالى واعتقاد انه وحده المتصرف في الكون وكيف نجامع هذه العقيدة الاعتقاد بملك الموت الذي جاء به قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) فما الحكمة في تفويض أمر توفي الانفس لهذا الملك

(ج) ان تفويض التوفي الى بعض الملائكة كتفويض تبليغ الوحي للأنبياء الى بعضهم وكتفويض تبليغ الرسالة للناس الى المرسلين وكتفويض غير ذلك من الأعمال الى المخلوقين كل ذلك لا ينافي التوحيد وكون الله سبحانه وتعالى هو المتصرف في الكون لأنه عز وجل هو الذي أقدرهم وهو الذي سخرهم ولو سلبهم ما أعطاهم لما قدروا على شيء. ولكن قضت حكمته ان يربط أمور الكون بعضها ببعض فيجعل هذا سببا لذاك وهو واضع الاسباب والمسببات ومدبر العلل والمعلولات وقد بين لنا في كتابه كلتا الحقيقتين حقيقة ربط الأسباب بالمسببات وحقيقة انفراده بالخلق والتدبير. ومنه ذلك الربط والتسخير. فكما قال (٣٢ : ١١ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) وقال (٣٩ : ٤٢ الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (٣٩ : ٦٢ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) ولكل مقام مقال ولا تنافي بين الحقيقتين عند العقلاء حتى من أهل الوثنية الراقية كمشركي العرب وقت البعثة وانما كان شرك هؤلاء خاصا بالعبادة وهو التوجه بالقلب الى غير الله في قضاء الحاجات عند العجز عن

الوصول اليها من طريق الاسباب أوفق التقرب الى الله وما يلزم ذلك من دعاء المتوجَه اليه وجعله وسيلة الى الله كما بين لنا ذلك الكتاب العزيز في آيات تنطق بأنهم كانوا يعتقدون أن الله خالق كل شيء وان مايدعون من دونه انما يدعى ليشفع لهم عنده ويقربهم اليه زلفى وهذا هو الشرك في الالوهية وقد شرحناه مرارا كثيرة في بابي التفسير والفتاوى وغيرهما من أبواب المنار وترى منه شيئا في التفسير من هذا الجزء . وهذا النوع من الشرك هو الذي ابتلي به أكثر الخلق بما يقيسون في هذا الاصل الذي يجب ان يكون مبنيا على البرهان القطعي لا على القياس الظني أو الوهمي وناهيك بقياس الرب الرحيم العليم الحكيم على الملوك القساة الجهلاء السفهاء اذ يقولون : ان الملك يقضي حاجات الناس بواسطة المقربين اليه من حاشيته أو وزرائه أو بكل اليهم ذلك ولا يسمح لكل أحد ان يطلب حاجته منه مباشرة فكذلك يفعل الله سبحانه وتعالى عما يصفون فقد أبطل هذا القياس على ألسنة جميع رسله وهدى الناس الى أن يلتمسوا منه حاجاتهم بالسير على سنته في الاسباب والمسببات حتى اذا اعوزهم التسبب وضاقت بهم السبل ونفدت منهم الحيل وجب عليهم أن يلجؤوا اليه ويتوكلوا في أمرهم عليه ويخصوه بالدعاء ويقصروا عليه الرجاء عسى أن يهديهم الى ماجهلوا من الاسباب أو يخفف عليهم ثقل ماحلوا من الاوصاب ولم يأذن لهم ان يدعوا من دونه أحدا ولا أن يطلبوا منه عونا أو مددا أما تقرأ ما أمر به خاتم أنبيائه وصفوة أصفيائه (٧٢ : ٢٠ قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا ٢١ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ٢٢ قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ٢٣ الا بلاغا من الله ورسالاته) فاذا كان خاتم النبيين والمرسلين لا يملك للناس ضرا يدفعه أو نفعا يرفعه أو رشدا يهدي به القلوب بل يملك التبليغ للرسالة فقط وهو فيما عدا ذلك بشر مثلكم فماذا تقول في غيره ممن يطلب منهم ذلك ؟

اما الحكمة في جعل قبض الارواح موكولا الى ملك الموت فهي داخلة في الحكمة العامة في ربط الاسباب بالمسببات وجعل الأرواح اللطيفة عاملة في الاجسام الكثيفة وعلى طالب الحكمة ان يعرف ذلك فمن عرفه أو عرف منه ما

يقل لم كان كذلك لانه يشاهد أنه منتهى الكمال في الابداع كما أن منتهى الجهل في الناس أن يظنوا أن خلق كل شيء أنفا هو أدل على كمال قدرة الخالق كما تخيلت القدرية كأن هؤلاء الجاهلين يرون أن الحكمة والنظام ينافيان كمال القدرة تعالى الله عن جهلهم

﴿ قيام الدين بالدعوة، وحديث أمرت ان اقاتل الناس ﴾

(س ١٥) الاسلام كما لا يخفى عليكم قام بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالسيف والقوة كما يعتقد الكثير من أصدقاء الدين الجهلاء وكيف يجامع هذا قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » فانه صريح في ان القتال كان للحمل على الدخول تحت لواء الاسلام

(ج) أما كون الاسلام قام بالدعوة لا بالسيف فهذا قطعي لا ريب فيه واما الحديث فقد ورد في مشركي العرب الذين لم تقبل منهم الجزية بعد الاذن بقتالهم وما أذن للمسلمين بقتالهم الا بعد ان آذوا النبي ومن معه وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وقتلوا منهم كل من قدروا عليه وقاتلوا في سبيل الدعوة فلم يكن الاذن الا للدفاع عن الحق وحماية الدعوة كما بيناه مرارا وليس الغرض من الحديث بيان أصل مشروعية القتال فان هذا مُبين في الكتاب العزيز بمثل قوله تعالى (٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآيات وقوله (٢ : ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) الآيات وانما الغرض منه بيان أن قول لا اله إلا الله كاف في حقن الدم وان لم يكن القائل لها من المشركين معتقدا لأن الأمر في ذلك يبنى على الظاهر . وهذا بالنسبة الى وقت القتال ولكنه بعد ذلك يؤمر بالصلاة والزكاة فان امتنع عن قبولها لا يعتد باسلامه كما يؤخذ من رواية « حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وهو في الصحيحين على غرابته لان شعبة تفرد بروايته عن واقد وقد عد من الاشكال فيه ان يكون راويه ابن عمر مع ما علم من محاجة عمر لابي بكر في قتال مانعي الزكاة ولم يحتج به عمر ولا ابنه قاله له وأجاب ابن حجر عن هذا

باحتمال نسيان عبد الله له في ذلك الوقت - ومما يؤيد قولنا ان الحديث خاص بالمشركين وان كان لفظه عاما رواية النسائي له بلفظ لا أمرت ان أقاتل المشركين » وقد علمت ان المراد بانتهاء القتال لامشروعيته وان سبب مشروعيته الدفاع وتأمين الدعوة ومنع الفتنة لا الاكراه على الدين المنفي بنص القرآن الحكيم

﴿ الاضطهاد في الدين وقتل المرتد ﴾

(س١٦) اذا كان الاسلام لا يضطهد أحداً لعقيدته فكيف يشرع قتل المرتد الثابت بقوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه »

(ج) كان المرتد من مشركي العرب يعود الى محاربة المسلمين وايذائهم فمشروعية قتله أظهر من مشروعية قتال جميع المشركين المعادين للاسلام - وكان بعض اليهود ينفر الناس من الاسلام باظهار الدخول فيه ثم باظهار الارتداد عنه ليقتل قوله بالطعن فيه - قال تعالى (٣ : ٧٢ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) فاذا هدد أمثال هؤلاء بقتل من يرتد منهم رجعوا عن كيدهم هذا فالظاهر ان الأمر بقتل المرتد كان لمنع شر المشركين وكيد الماكرين من اليهود فهو لأسباب قضت بها سياسة ذلك العصر التي تسمى في عرف أهل عصرنا سياسة عرفية عسكرية لا لاضطهاد الناس في دينهم - ألم تر ان بعض المسلمين أرادوا ان يكرهوا أولادهم المتهودين على الاسلام فمنعهم النبي (ص) بوحي من الله عن ذلك حتى عند جلاء بني النضير والاسلام في أوج قوته وفي ذلك نزلت آية (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين)

﴿ حكاية القرآن المسخ في بني اسرائيل ﴾

(س١٧) جاء في القرآن الحديث عن مسخ بعض الامم من بني اسرائيل فهل هو محمول على حقيقته من انقلاب الاعيان كما هو مذهب الجمهور (وهو مخالف لسنة الله في الكون) أو هو محمول على التشبيه بحالهم كما هو مذهب مجاهد ؟ واذا كان كذلك فبماذا نجيب عن قوله صلى الله عليه وسلم « مسخت امرأة من بني اسرائيل »

هذه الآية وما ماثلها تعد من أصول الدين وقواعده العامة التي تقضي على غيرها ولا يقضي عليها شيء · ولا يمكن رد الحديث اليها فيا وصل اليه علمنا الا بحمله على ذلك السبب الخاص فكأن الضرورة قضت بذلك في تلك الحال

(ج) لفظ المسخ لم يرد في القرآن الا في آية واحدة هي قوله تعالى (٣٦ : ٦٧ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) وهي بيان لقدرة الله تعالى على الانتقام منهم لو شاء ولكنه لرحمته لم يفعل كل ما يقدر عليه من التنكيل بالكافرين والظالمين والمروي عن السلف تفسير المسخ هنا بالإقعاد أو الاهلاك روى ابن جرير عن الحسن « ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم قال لو نشاء لاقعدناكم » ورواه عن قتادة بلفظ « لأقعدناهم على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يستطيعوا ان يتقدموا ولا أن يتأخروا » وروي عن ابن عباس انه قال في تفسيرها « ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم » ولم يرو عن أحد أنه قال ان المسخ تحويل الخلقة من شكل الى شكل · ويقول الراغب في المفردات ان المسخ تشويه الخلق والخلق وتحويلهما من صورة الى صورة : وهو مأخوذ من مسخت الناقة أي أنضيتها حتى تغير خلقها ولا يفهم منه أنك جعلتها بقرة · والحديث الذي ذكرته لا أتذكر اين يوجد ولكنني أعلم انه ليس في الصحيحين والخطب في مثله سهل بعد الذي علمت وبعد العلم بأن هذه الروايات في الأمور التي يطلب فيها العلم الصحيح ليست مما يحتج به

﴿ الدابة التي تتكلم في آخر الزمان ﴾

(س ١٨) مامعنى قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) فهل الآية محمولة على ظاهرها أوهي كناية عن ظهور العجائب

(ج) هذه الآية مما أخبر الله به عن المستقبل البعيد فهي من أنباء الغيب التي تؤخذ بالتسليم ما لم يكن ظاهرها محالا فتحمل على خلاف الظاهر بالتأويل كما هي القاعدة وكلام الدواب ليس محالا في نظر العقل ولذلك يطمع علماء الافرنج الآن في معرفة لغة بعض الحيوانات كالقرود والببغاء تتكلم بالقدر المعروف

ويحتمل أن تنرق في هذا الكلام كما يحتمل ان توجد حيوانات أخرى تكلم الناس ولانقبل أقاصيص المفسرين في ذلك

﴿ طائفة محمد بن عيسى آكلة الثعابين والنار ﴾

(س١٩) من الناس طائفة تنتسب الى الشيخ محمد بن عيسى وتأتي من المنكرات ما يتقطب له وجه السنة ولكن تظهر من الخوارق مايقف الناظر متحيرا دون الوصول الى حقيقته وادراك كنهه كأكل ذوات السموم وابتلاع المدى وإدخال السيف في البطن والعين وإلصاق النار بالبشرة وأكلها وليس شيء من ذلك ضاراً لهم فما الحقيقة فيما يأتونه

(ج) لوقرأتم ما كتبناه في الكرامات وخوارق العادات في المجلد السادس وغيره لا كتفيتم به عن السؤال بهذا . إن المحتالين يتخذون عمل الغرائب صناعة كثيرون في كل أمة وأنواع هذه الغرائب كثيرة وكل عاقل يجزم بأن مايراه منهم يمكن أن يكون [illegible] من شعوذة يخيل صاحبها الى الرائي غير الحقيقة وأمور طبيعية جاءت على غير ما يعرف الرائي فظن انها غير طبيعية ومتى ظهر للانسان شيء من أعمالهم على حقيقته وعرف سببه بطل تعجبه والعاقل يقيس ما لم يعلم من ذلك على ما علم فاما أكل ذوات السموم وهي الثعابين فهو لايضر الآكل بطبعه له وقد استخرج بعض الاطباء سم الثعبان وأكله وانما يضر اذا أصاب الدم ابتداء ولكن قد يضره الوهم اذا هو أكله معتقدا أنه ضار . واما ابتلاع المدى فما اراه الا من الشعوذة فهو يخيل اليك انه ابتلع المدية من حيث يكون قد ألقاها بخفة لم تشعر بها وأما ادخال السيف في البطن والحربة في جفن العين فقد شاهدت عمل الرفاعية له ورأيت انه ايهام وتخييل . واما مس البشرة بالنار فهو مما قد يكون بالتعود ومما قد يكون بالتخيل وكلاهما مما شاهدته وقد أحرجت واحدا منهم واردته على ان يمكنني من وضع النار حيث أريد من بدنه فلم يقبل ثم استتبته وأظهر التوبة عن مخادعة الناس بذلك . ولك ان تراجع ما كتبناه من قبل في ذلك

آثار علمية ادبية

﴿ فرائد اللغة العربية ﴾

في لغتنا الغنية فرائد كفرائد اللآلئ ، قد أهملت على جدارتها بالاستعمال ، ومنها المفردات التي يؤدي الواحد منها معنى جملة . وكنت شرعت في جمعها قبل الهجرة الى مصر فكتبت منها أوراقا من حرفي الهمزة والباء ثم حال السفر دون المضي في العمل . وقد عنّ لي الآن أن أذكر بعض هذه الفرائد أذكّر بها الكتاب لعلهم يستعملون منها مايروق لهم . ولم أراع في الكلمات الآتية ترتيبا ولا نظاما الا ترتيب مايخطر ببالي أولا فأولا . وهاك ماخطر الآن

(التجذيذ) أن تستتبع القوم فلا يتبعك أحد وهو مصدر جذّذ الرجل

(العدال) ككتاب : أن تقول واحد فيرتفع وآخر ليس فيها بقية — وأن يعرض أمران فلا تدري الى أيهما تصير فأنت تروي في ذلك وهو مصدر عادل

(الزوبة) بالضم كالكوفة : القوم يكونون مع القوم ولا يستشارون في شيء

(العرازيل) قوم عرازيل : مجتمعون في لصوصية

(الاوشاب) اخلاط الناس المتفرقون ومثله (الاوزاع)

(الاوقاس) بالمهملة والمعجمة السقاط والعبيد وأشباههم

(الغوغاء) السفلة واستعماله بمعنى الضوضاء والجلبة خطأ . وقيل الغوغاء الكثير المختلطون

(الطرّاء) القوم يجيئونك من بعيد من غيران تشعر بهم وهو من الطراء والطروء

(التفيج) الاجنبي يدخل بين القوم ويصلح أمرهم أو الذي يعترض لايصلح ولا يفسد

(المتفيج) الذي يفتخر بأكثر مما عنده

(الفاج) المتكبر يفتخر بما ليس عنده

(العِرِّيض) بكسر العين وتشديد الراء الذي يتعرض الناس بالشر

(البيدار) الذي يسيء الظن فيصيب

(المِنّ) بالكسر من يدخل فيما لايعنيه ويعرض في كل شي وهي مِنّة

(المِفَنّ) بالكسر ذو الفنون والغرائب وهي مِفنّة

(الفجفاج) الكثير الكلام المتشبع بما ليس عنده

(الضمضاع) الرجل بلا حزم ورأي ومثله الضمضم

(الوهين) الرجـل يكون مع الاجير يحثه على العمل (عزاه التهذيب الى أهل مصر)

(التوليج) ولج ماله : اذا جعله في حياته لبعض ولده فسامع الناس فانقدعوا و نغوا عن سؤاله . يقال وأَلج ماله

(الاغراب) [illegible] وتزوج من غير أهله . وأجرى فرسه الى [illegible]

(التنصي) تنصى القوم : تزوج من خيارهم وشرفائهم الذين هم نواصيهم. ومثله تذراهم أي تزوج من ذروتهم

(القراطة) كثمامة : الماء يكون شرعاً بين عدة أحياء من سبق اليه فهو له

(التناوة) بالكسر : ترك المذاكرة والمدارسة

(الافناق) يقال أفنق فلان اذا سمنت دوابه

(الافناق) « أفنق الرجل : تنعم بعد بؤس

(الاقتبار) « اقتبر الكلام : اخترقه من غير ان يسمعه او يتعلمه من أحد

(الاقتحار) « اقتحر الكلام والرأي أتى به من قصد نفسه ولم يتابعه عليه أحد

(التجرم) تجرم عليه وتجنى عليه وتذقح له : نسب له الذنب مالم يفعل . و(الذقاحة) بالضم وتشديد القاف من تعوّد التذقح والتجرم

البلاد ، وتارة يشرف على الامة بالوعظ والتعليم ، ويسلك بها صراط الحياة المستقيم ، ببيان غوائل السرف وفوائد الاقتصاد، وتقويم النفوس بمقائل الفضائل وأحاسن الآداب ، بعد تطهيرها من لوث الخرافات، ومساوي التقاليد والعادات ، يهبط على الفلاح في حرثه فيخاطبه بما يفهم ، ويعرج بطالب الحكمة الى أفقه فيعلمه ما لم يكن يعلم ؛ — وهذا هو المثال الاول لطور العمل ، من الحياة المشرفة للرجل ، تجليه لك مقالاته في جريدة الحكومة الرسمية ، وجلّ عمله فيها خاص باصلاح حال البلاد المصرية ،

ثم يجليه لك مع أستاذه في الديار الأوربية ، متحدين على ارشاد جميع الشعوب الاسلامية ، السيد الحكيم يقترح ويدبر ، والاستاذ الإمام يكتب ويحرر ، يدعوان الى العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ويجمعان القلوب على الوحدة وكانا أحق بها وأهلها ، هنالك تتجلى لك الروح القرآني ، هابطة من سماء الحكمة والعرفان ، مؤيدة بالعزة والسلطان ، تطوف بتلك العروة البلاد ، وتصافح قلوب أهل الاستعداد، فتحييها حياة جديدة ، وتجذبها الى عيشة سعيدة ؛ هنالك ترى الالهام الالهي ، يمد بتأثيره العلم الكسبي ، فيصيبان مواقع الاقناع من العقل ، ويلفتان مواضع التأثير من النفس ، فلا يقرأ القارىء ما في العروة من بيان حال المسلمين، وأسباب ما أصيبوا به من البلاء المبين ، وما تطب لدائهم ، وتصف من دوائهم ، الا وينثني أسير البرهان ، مملوك الوجدان بالاذعان ، مندفعاً الى العمل بذلك البيان ، بالجنان واللسان والاركان ، وذلك طور مستوى القوة ، وكمال الفتوة ، ومنتهى علو الهمة ؛ وبيع النفس والوقت للملة والامة ،

ثم يظهره لك رابعاً في الديار السورية ، يعمل لاصلاح الاسلام

بإصلاح الدولة العثمانية ، أو مقيماً في الديار المصرية ، يبين لأولي الامر طريق الاصلاح بالتربية الدينية ، وهو في التطرين يتكلم عن فهم ثاقب ، ويرمي عن فكر صائب ، يبين طبائع البلاد والساكنين ، ويجمع بين مصلحة الحاكمين والمحكومين ، ويهديهم الى الطريق القويم ، في نظام التربية والتعليم ، محرضاً باستعداده لتنفيذ العلم بالعمل ، مصرحاً بضمان تحقيق الامل ، وفي ذلك ما فيه من اعتماده على الله ، وثقته بالقوى والمواهب التي آتاه ، يلوح لك ذلك في لوائح الاصلاح ، وما فيها من اشراع مناهج الفلاح

ثم يبرزه لك في طور المبارزين ، للطاعنين على الدين المبين ، فيتراءى لك أن قلمه أمضى من الحسام ، وكلمه أنفذ من السهام ، فهو بهما يكر ويصول ، ويجدل من المجادلين الفحول ، ولا ينثني الا والحق غالب على أمره والباطل مغلوب يأرز الى جحره ، وحسبك من ذلك رده على مسيو هانوتو في قوله في طبيعة الديانتين الاسلامية والمسيحية ثم رده عليه في مسألة الجامعة الاسلامية ،

ثم يريكه يجوب الاقطار ، ويقطع أجواز البحار ، للنظر في آثار الاولين ، واستخراج العبر منها للآخرين ، فتراه في صقلية مرة يتصفح الصحف والاسفار ، ويستنطق العاديات والآثار ، ويقرأ ما نقش على الجدران بالعربية ، لتحقيق المسائل التاريخية ، ومرة يبحث عن الاخلاق والعادات ، وينقب عن المنشآت والمستحدثات ، ويتردد بين الاديار والكنائس ، والمقابر والمدارس ، ثم يزف ما استفاد الى أمته ، فيما كتب عن رحلته

ثم يكشف لك عنه الحجاب ، وهو يراسل العلماء والكبراء والكتاب ، فتارة يتلو عليك من كتبه الى حزب المصلحين ، وأهل البصيرة من علماء المسلمين ، ما تخشع له القلوب ، وتصدر من وقعه الشؤون ، فكأنك منه

وقد عاد بك الاسلام ، الى عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، فرأيت نفسك تتدفق غيرة على الدين ، وتفيض حزناً على ماحل بالمؤمنين ، فلم يبق لهام الا ان تكون كلمة الحق هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى ، أوكأنك معه في عصر الراشدين ، وكأنه مسمعك أمير المؤمنين ، يصول على الارواح بمواعظه الصادعة ، ويختلب الالباب ببلاغته الرائعة ،

ومرة يشنف مسامعك باللؤلؤ والمرجان ، من رسائل الوداد الى الاصدقاء والخلان ، فيمثل لك الادب الباهر ، واللطف الساحر ، ويصور لك الوفاء في أجمل صوره ، والاخلاص في أجل مظاهره ، والصدق في الحب ، على البعد والقرب ، ويريك من ذلك الرجل الحزين على أمته ، المستغرق في عمل الاصلاح لملته ، أديباً ظريفاً ، ونديماً لطيفاً ، حسن الاماليح ، مليح الافاكيه ، حلو الفكاهة من الجد [illegible] الصدق البأس منه رقة الغزل

وآونة يقرئك مما كتب الى المؤلفين بالعربية ، أو المترجمين للكتب الاجنبية ، ما يرفع من أقدارهم ، ويشب من نارهم ، ومايشحذ غرار همتك ، ويزجي ركاب عزيمتك ، الى أن تكون من زمرتهم ، وتساهمهم في مثل خدمتهم ،

وأحيانا يسمعك من تعازيه للمحزونين ، ومواعظه للمرزوئين بالاقربين ، مايحلو به مرير الصبر ، ويرغب فيما عند الله من المثوبة والاجر ، ويترك القلوب منشرحة الثائرة ، قد سكنت قدرها الفائرة ، وأنشأت تشيع الاحزان ، وتستقبل السلوان ،

ثم يختم لك ذكرى هذه الحياة الروحية ، والآثار العقلية ، بشذرات من الحكم المنثورة ، والآيات المأثورة ، فترى اجمالا يغني ، عن تفصيل ، وقليلا

لايقال له قليل ، كأنه صورة مصغرة لتلك الروح الكبيرة ، أو عناوين لتلك الكتب المسطورة ، على أن الكتاب كله تتضمن أقواله ، ونموذج من أعماله ، وان آثاره في النفوس ، لاعظم من آثاره في الطروس ، فهو حي في الآخرة بما قدم من عمل ، حي في الدنيا بما ترك من أثر ، يمثل حياته هذا الكتاب الناطق ، وينشر خبرها الصحيح مريده الصادق ،

محمد رشيد رضا

منشئ المنار



﴿ مقدمة الجزء الثالث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الانعام ٦ – ١٦٢)

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (الجاثية ٤٥ – ٢١)

كانت حياة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في جميع اطوارها وأدوارها خالصة لله تعالى من شوائب الرياء ، وزعزعة الاهواء ، ومات كذلك خالصاً مخلصاً لله ، لا يرجو غيره ولا يخشى سواه ، لذلك كان في محياه ومماته آية في العلم والعمل لله وللناس ، وحجة على أهل الجهل والجمود والجحود من جميع الاجناس ،

رأينا في عصرنا كثيراً من أهل الشهرة والظهور في أمتنا ، من

المرشدين والعلماء، والملوك والامراء، والشرفاء والاغنياء، قد حيوا مكرمين، وماتوا مبكين، وما كانت حياة أحد منهم كحياته، ولا مماته كمماته، ــ ما رأينا أحداً منهم في حداثته فطرياً زكياً، وفي شبابه متعلما صوفياً، وفي كهولته فيلسوفاً اجتماعياً، وفي شيخوخته حكيماً ربانياً،

ما رأينا أحداً منهم يعمل لترقية الناس في الدين والدنيا، من حيث لا يطلب لنفسه الا الحياة الاخرى،

ما رأينا أحداً منهم كان يرجوه الفقير لنيل نواله، ويسترشد به الغني ليفيد ويستفيد عماله، ويرجوه المتعلم ليقتبس من حكمته وفهمه، ويستهديه العالم الذي يريد ان ينفع بعلمه، ويرجوه المحكومون لما يريدون عند الحاكمين، ويستفيد منه الحكام كيف يعدلون في المحكومين،

ما رأينا أحداً منهم كان قد [illegible] في السياسة والعلم والدين، قد أتلعت الاعناق وامتدت الابصار من جميع الامصار والاقطار، ترقب آثار اصلاحه، وتنوط فلاحها بفوزه ونجاحه، فالمصري في وطنه يرجوه لمصر، والمسلم في كل وطن يرجوه للاسلام، والشرقي غير المسلم يرجوه للشرق،

هكذا كان مرجواً في حياته للعالمين، اذ كان محياه خالصاً لله رب العالمين، وهكذا كان مرثياً من الناس أجمعين، اذ كان حتى مماته محياً لخير الناس أجمعين،

ثم ما رأينا منهم أحداً مات فبكاه السني السلفي وغير السلفي، وحزن عليه الشيعي والاباضي، ورثاه اليهودي والنصراني، وابنه الشرقي والغربي، واستوى في التعزية عنه القريب بالأجنبي،

ما رأينا أحداً منهم مات فنعته الجرائد كنعيه ، وأبنته بمثل ما أبنته به ، على اختلافها في العقائد والمذاهب ، وتباينها في المنازع والمشارب ، وعلى ما كان له في عالم الاجتماع من الزعامة ، وفي عالم الدين من مرتبة الامامة ، وهما المزيتان اللتان يتحاسد عليهما الكبراء ، ويتبرى لمباراة صاحبيها العظماء ، بل يسلطون الالسنة والاقلام على من يخطب واحدة منهما ، فما بالك بمن تمكن من الجمع بينهما ، وما كانوا عن الاستاذ الامام بناقلين ، ولا عن النيل منه بساكتين ،

ما رأينا أحداً منهم مات فعدّ موته موتاً للفقراء ، موتاً للعلم والعلماء ، موتاً للبلاغة والبلغاء ، موتاً للصدق والوفاء ، موتاً للاخلاص والصفاء ، ورزؤه رزءاً للمصريين ، بل رزءاً للمسلمين ، بل رزءاً للانسانية ومصابا على أهلها أجمعين ،

ما رأينا أحداً منهم [illegible] فتجاوزت الاقطار بالتعزية عنه ، وتناوحت الامصار بالرثاء فيه ، وشهدله القريب والبعيد ، والغوي والرشيد ، والذكي والبليد ، بأنه امام الزمان ، وسدرة منتهى العرفان ،

هكذا كان وقع موته في العالمين ، لانه مات كما عاش خالصاً مخلصاً لله رب العالمين ،

ليس هذا الذي أقول من خيالات الشعر ، ولا من باب الإطراء في المدح ، ولا هو من قبيل شهادة القريب للقريب ، ولا من اعجاب الصديق والوديد ، ولا من اجلال التلميذ أو المريد ، وانما هو الحق اليقين ، الذي دونته أقلام الكاتبين ، املاء عن ألسنة الناطقين ، وهذا السفر بعض مادونوا ، ومادونوا الا بعض ما علموا ،

ترى في هذا السفر اثباتاً لاعتقاد قوم من المؤبنين والمعزين والرائين، وتصويراً لشعور طوائف من العلماء والفضلاء والشعراء والكاتبين، قد تقاربوا بل اتحدوا على تباعد الاقطار، واتفقوا على اختلاف اللغات والمذاهب والديار، في اثبات المعاني التي أثبتنا، مع تفصيل لما أجملنا، وذلك هو التواتر الحقيقي، المفيد للعلم اليقيني،

تواتر لم يعهد له عندنا مثال، دونه الطبقة الاولى في الكتاب، من تواتر سار مسير الامثال، به عرفه البعيدون من الشعراء والكتاب، لا بتوارد الخواطر، كما يقع الحافر على الحافر، ولا بوحي من آحاد متواطئين، الى جماعات غير متعارفين، اذ لا سبيل الى التواطؤ، ولا ذلك الاعتقاد والشعور مما يكون بالتوارد،

يدور الكلام في تلك التأبين والتعازي والمراثي على أربعة أقطاب — (١) بيان الاعتقاد الذي انتبه الاعمال، و (٢) تمثيل الشعور و (٣) ذكر الاعمال، و (٤) تخيلات الشعر، وإن هي تخلات النثر، وإنما يأتي توارد الخواطر، في هذا القسم الآخر، كقولهم لو كان يفدى لفديناه بكذا، وان الحياة بعده أسى وأذى، وانه كان بحرا في الجود والعلم، وطوداً في الثبات والحلم، فأما ماهو من قبيل الاعمال، أو من اثبات الاخلاق والخصال، فهو مما لا يكاد يتفق فيه خاطران، فكيف تتفق فيه خواطر الزرافات والوحدان،

ترى في هذا السفر أقوالا للافريقي والاسيوي، والامريكي (المقيم في أمريكا) والاوربي، ولك أن تقول للعربي والتركي، والفارسي والملاوي، والافرنجي والبربري، وان شئت قلت للمسلم السني والشيعي، والنصراني

واليهودي ، تتفق هذه الاقوال في معان يجزم كل من رآها انها ناشئة عن اعتقاد ، سببه انتشار فضل الرجل في جميع الاقطار والبلاد ، حتى كان جديرا بقول الشاعر

وسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر

هذا مايؤخذ مما نشر في هذا الكتاب ، واليك كلمات مما قاله بعض المشهورين في هذا الباب. منها ماقيل في حياته ، ومنها ماقيل بعد مماته ،

(ثم قلنا بعد ان أوردنا كلمات كثيرة فيه ، لبعض المشهورين كمختار باشا ورياض باشا كانت نشرت في المنار)

هـذا بعض ما سمعنا وما روينا دل على أن الامة لما تعرف كنه من فقدنا ، كما يقول العقلاء المنصفون ، وسيثبت الزمان حقيقة ما يقولون ، فأثبتوا بمالم يحرر [illegible] الفضل الكبير ،

يقسم هذا الجزء الى أقسام ﴿ الأول ﴾ أقوال الجرائد العربية وفيه فصول (١) للجرائد اليومية المصرية و (٢) للجرائد الاسبوعية و (٣) للمجلات و (٤) للجرائد التونسية و (٥) للجرائد السورية في أمريكا الشمالية والجنوبية . أما جرائد سورية في سورية فقد منعت من تأبين الامام بل من ذكر خبر موته بأمر من السلطان (وهو من ص ٩ الى ١٥٠)

﴿ القسم الثاني ﴾ أقوال الجرائد الافرنجية وفيه فصلان (١) للجرائد التي تصدر في القطر المصري وقد ترجمنا أكثرها و (٢) للجرائد التي تصدر في أوربا ولم يصل الينا الا قليل منها (وهو من ص ١٥١ - ١٨٤)

﴿ القسم الثالث ﴾ أقوال الجرائد التركية والفارسية ولا تركية الا مايصدر في مصر لانها هي الحرية بالمنا من الحرية باظهار شعور فضلاء الترك

واعتقادهم بفضل هذا الامام العظيم دون التي في بلادها (من ص ١٨٥ — ١٩٨)
وقد فاتنا ما كتبت الجرائد الهندية اذ لم يتيسر لنا جمعها وترجمتها في مصر وكنا رغبنا الى عظيم من عظماء مسلمي الهند وأعلمهم بقيمة الامام وأشدهم له حبا أن يترجم لنا أهم ما كتبته جرائدهم فحالت الموانع — من مرض وسفر — دون الحافنا بما كان يحب من ذلك

﴿ القسم الرابع ﴾ نموذج من تأبين بعض العلماء والفضلاء كان نشر بعضه في الجرائد (من ص ١٩٩ — ٢٣٥) بعد الوعد به

﴿ القسم الخامس ﴾ ماقيل في حفلة التأبين والرثاء عند القبر (٢٣٦ — ٢٧٤)

﴿ القسم السادس ﴾ التعازي وهي نموذج مما كتب بعض المصريين الذين كانوا خارج مصر ونموذج مما كتب المسلمون من سائر الاقطار (من ص ٢٧٥ — ٣٠٠)

﴿ القسم السابع ﴾ مراثي الشعراء مرتبة على حروف المعجم وقد اختصرنا أكثرها (من ص ٣٠١ — ٤٢٢)

﴿ القسم الثامن ﴾ ملحقان في الاول منهما استدراك شيء تابع لقسم التعازي وهو تعزية مجلس شورى القوانين لاسرة الامام وما كتبه جموده بك في جوابه وجواب تعزيتي محكمة الاستئناف والستر براون وفي الثاني استدراك آخر تابع لتأبين العلماء والفضلاء وهو تأبين اللورد كرومر في تقريره الرسمي عن حال مصر الادارية والمالية وتأبين المستشار القضائي في تقريره الرسمي عن القضاء في مصر (ص ٤٢٣ — ٤٢٨)

رتبنا تأبين الجرائد في كل فصل على ترتيب أسمائها بحروف المعجم

وكذلك رتبنا تأبين المؤبنين على حسب أسمائهم الا ما شذ . وأما المراثي فرتبناها على حسب حروف قوافيها وقصائد كل قافية على حروف ناظميها ، وما شذ عن الترتيب فالسبب فيه تأخر وروده عن حقه التقديم ، أو الخطأ من المرتبين ، وقد وردت الينا تآبين ومراث أخرى بعد الفراغ من الفصول الذي قضى الترتيب بوضعها فيها فأهملناها ، ورأينا بعضها غفلا من التوقيع المدرف لصاحبها فأغفلناها ، وقد حذفنا كثيرا من الاطراء والزهديات في القصائد التي اختصرناها ،

وانا نقدم الى الامة هذا السفر بالنيابة عن مؤلفيه ، من ساسة العصر ومؤرخيه ، وعلمائه وفضلائه ، وكتابه وشعرائه ، احياء لذكرى نابغتها الاستاذ الامام ، عليه من الله الرحمة والرضوان ﴿ محمد رشيد رضا ﴾

منشيء المنار

هذا وان أجدر الناس بالاستفادة من هذين السفرين طلاب العلوم من مجاوري الازهر وتلاميذ المدارس لا سيما الراغبون منهم في تحصيل ملكة الكتابة وبلاغة الانشاء على انها مما يستفيد منها كل قارئ .

وقد جعلنا ثمنها رخيصاً بالنسبة الى المطبوعات المصرية والى حجمهما فان مجموعهما يبلغ زهاء الف صفحة أو مجلدا من مجلدات المنار ولكن ثمنهما معا خمسة وعشرون قرشاً وأقل من نصف ثمن مجلد من المنار . وثمن جزء المنشآت وحده خمسة عشر قرشاً وجزء التأبين والمراثي وحده عشرة قروش على انه مزين بأحسن صورة للاستاذ الامام . وهناك نسخ مطبوعة على ورق أجود يزيد ثمن النسخة منها خمسة قروش . ومن يطلب نسخة مجلدة فعليه ان يزيد خمسة قروش أجرة التجليد . أما أجرة البريد عن كل جزء فهي ثلاثة قروش

﴿ كتاب الأخلاق والسير ﴾

كتب الامام الجليل أبو محمد علي بن حزم كتابا وجيزا سماه « الأخلاق والسير في مداواة النفوس » يكاد يصدق على كل ما فيه قول بعض الحكماء : العلم الصحيح هو ما اذا سمعته حسبت انك كنت تعرفه ؛ تقرأ ما تقرأ منه فتشربه نفسك وتعرفه فطرتك ويحكم عقلك بأنه حكاية عن حقيقة ما عليه الناس في أنفسهم ونتائج أعمالهم وآثار صفاتهم وأخلاقهم ويلوح لخيالك أنه مرآة القلوب والأفكار . ذلك أن مؤلفه لم يكن حظه منه كحظ أكثر المؤلفين : جمع وترتيب ونسخ وتبويب ؛ بل كان هو عقله وفكره وأدبه فاضت عن نفسه فوقعت على الصحف فكانت كتابا سواء منها ما هو محفوظ ومأثور وما هو مستنبط ومعقول فهو اذا نقل شيئا ينقله بعد ان عقله ويعقله بل بعد ان تتغذى به نفسه ويصير جزءا منها حيا بحياتها كما يصير الطعام الذي يتغذى به البدن الحي جزءا منه لا كما ينقل المتطفلون المقلدون في التأليف كلام غيرهم من غير ان يخالط عقولهم أو يمس قلوبهم . قال المؤلف في مقدمة الكتاب

« أما بعد فاني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعالى بمرور الايام وتعاقب الاحوال بما منحني عز وجل من التهمم بتصاريف الزمان والاشراف على أحواله حتى أنفقت في ذلك أكثر عمري وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع اللذات التي تميل اليها أكثر النفوس وعلى الازدياد من فضول المال وزممت كل ما سبرت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله به من يشاء من عباده ممن يصل اليه بما أتعبت فيه نفسي واجهدتها فيه وأطلت فيه فكري فيأخذه عفوا وأهديته اليه هنيئا فيكون ذلك أفضل له من كنوز الأموال وعقد الأملاك اذا تدبره ويسره الله تعالى لاستعماله . وأنا راج في ذلك عظيم الاجر لنيتي في نفع عباده واصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة علل نفوسهم وبالله استعين »

طبع الكتاب الشيخ أحمد عمر المحمصاني الأزهري وضبط من كلمه ما رآه محتاجا الى الضبط وفسر في حواشيه ما رآه منه غريبا وصدره بترجمة وجيزة للمؤلف وجعل ثمنه قرشين فننصح لكل قارئ بأن يطالعه المرة بعد المرة وهو يطلب من مكتبة المنار

(الاسرار القدسية والفيوضات الحدائية)

« تأليف القسي كان كاهنا من كهنة الروم الكاثوليك ومنّ الله عليه بالهداية المحمدية وتشرف بدين الاسلام عبدالحفيظ المهتدي » – أهدي الينا هذا الكتاب الجديد وعرفنا مؤلفه فاذا به كان قسيسا في عكار وأسلم في طرابلس أيام كنا فيها وصار من أهل الطريق وقدجاء مصرفي العام الماضي بولد له يريد أن يتلق القرآن بالروايات في الازهر و يطلب العلم . أما الكتاب فهو في التصوف والرقائق جمع فيه كثيرا من المواعظ والآداب ممزوجة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وذكر في آخره شيئاً من خبره جعله مقدمة للدعوة الى الاسلام واتباعه وذكر في هذا المقام بعض النصوص عن المسيح عليه الصلاة والسلام وعن كتب أخرى من كتب القوم . وثمن النسخة من الكتاب خمسة قروش صحيحة . ويعلم القطن ان في شرائه إعانة للرجل على تعلم ولده وتربيته في هذه البلاد التي لاموارد لهما فيها

(هدية الرئيس للامير)

رسالة في علم النفس للرئيس أبي علي بن سينا اهداها الى الامير نوح بن منصور الساماني والظاهر انها أول تصنيفه . وقد كانت فقدت هذه الرسالة فلم يعرف الباحثون من الافرنج المستشرقين الا نسختين منها احداهما في مكتبة (ليدن) من مملكة هولندا وهي كثيرة الغلط والثانية في المكتبة الامبروازية بمدينة ميلانو من ايطاليا وهي أمثل . فعني بعضهم بنسخهما وتصحيح احداهما بالمقابلة على الاخرى ثم بالمقابلة على نسخة منها مترجمة باللغة اللاتينية في القرن السادس عشر والاستعانة ببعض كتب المصنف في الفلسفة خصوصا ما كان منقولا عنه فعل ذلك الدكتور صموئيل لانداور الالماني صحح الرسالة وجمع اليها ما اختلف من النسخ وعلق عليها ماعلق من الشرح والتفسير ونشر ذلك كله في مجلة المستشرقين الالمانيين مع ترجمة المانية وجيزة بسبع لغات — العربية والعبرية والسريانية والفارسية واللاتينية واليونانية والالمانية . فلينظر أهل العربية الى عناية الافرنج بكتبهم وآثار سلفهم وليخجلوا من جهلهم واهمالهم

ثم أن أدوود فنديك المدرس بمدرسة الحقوق (ابن الدكتور كرنيليوس فنديك الشهير) قد استخرج النسخة من تلك المجلة وقابلها بنفسه على الاصل في مكتبة ليدن ومكتبة ميلانو بعد أن وعدته شركة طبع الكتب العربية هنا بطبعها اذا هو جاء بها مصححة بالعربية وقد وفت بالوعد فطبعتها طبعا متقنا على ورق جيد كعادتها . وطبعت معها تلك الشروح . وقد انتقدنا تسمية اختلاف النسخ بالقراآت وما هي بقراآت وانما هي تحريفات وتصحيفات وقد وضعت بين أقواس في أثناء الكلام فكانت مما يشغل القاري، لاجل الفهم ولو وضعت في الهوامش لكان أولى . واننا نشكر لكل من اشتغل احياء هذه الرسالة فضله

(قصة البعث)

هي قصة شهيرة من أحسن ما كتب الفيلسوف تولستوي الروسي الشهير بل هي كتاب كبير مؤلف من جزئين في علم الاخلاق والسياسة وفلسفة الاجتماع ليس فيها من معنى القصص الا الاسلوب السهل والآراء في التربية والسياسة والآداب في سياق الوقائع المتصلة بأسلوب يلذ القاري، ويحث شوقه الى الخاتمة وهو يصف فيها معيشة مترفي أمته وأمرائها وحال الفلاحين والمسجونين فيها ويرغب في توزيع الاراضي على الفلاحين فهي من القصص التي جمعت بين اللذة والفائدة فياليت شباننا يطالعونها وقد طبعها ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهي تطلب منه

ديوان حافظ

قد طبع الجزء الثاني من ديوان حافظ أفندي ابراهيم وهو أرق من الأول نظما وموضوعا فان معظم قصائده في الأمور العامة من اجتماعية وسياسية وما في معناها كمدح الاستاذ الامام (تغمده الله برحمته) وبهذا صار شعر حافظ عزيزا شريفا واشتهر في كل قطر يتبوءه أهل العربية ، ولو كان كسائر الشعراء لايكاد ينظم الا في مديح الأمراء والوجهاء لما طار صيته في البلاد ، ورددت شعره ألسنة الناطقين بالضاد ، فانه وقد بذ المعاصرين تنقيحاً وتحريرا ، لم يذهم تخييلا وتأثيرا ، فان شعره أقرب الى عالم الحقيقة منه الى عالم الخيال ، فلولا شرف معناه

للميل من الابتذال، حتى ليعجز عن إعلائه الأمير والسلطان، على استغنائه عن تهذيب مبري وصقل سلهان، (*) وهاك هذا النموذج منه الآن،

لسان حال اللغة العربية

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي (١)

رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكفاء وأدت بناتي (٢)

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي (٣)

فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا ... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي

ولو تزجرون الطير يوما علمتم ... بما تحته من عثرة وشتات

سقى الله في بطن الجزيرة أعظما ... يعز عليها أن تلين قناتي

حفظن ودادي في البلى وحفظته ... لهن بقلب دائم الحسرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حياء بتلك الأعظم النخرات

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا ... من القبر يدنيني بغير أناة

وأسمع للكتاب في مصر ضجة ... فأعلم أن الصائحين نعاتي

أيهجرني قومي عفا الله عنهم ... إلى لغة لم تتصل برواة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات

(*) الكلام إشارة الى شيء يعرفه حافظ وكثير من أدباء مصر (١) الحصاة العقل والرأي (٢) وأدبته دفنها حية (٣) الاساة جمع الآسي وهو الطبيب

الى معشر الكتاب والجمع حافل … بسطت رجائي بعد بسط شكاني
فإما حياة تبعث الميت في البلى … وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده … ممات لعمري لم يقس بممات

(مسامرات الشعب)

(قصة قاطع الحبل) أتمت ادارة المسامرات طبع هذه القصة وهي من القصص الغريبة في تناسق حوادثها وينتهي الجزء الاخير منها (وهو السادس) ببيان سوء عاقبة الجناة والآثمين وحسن عاقبة أهل الوفاء والاخلاص فعسى أن يعتبر القارئون لها بذلك

(مجلة الانسانية)

قد عاد الشيخ ابراهيم الدباغ الى اصدار هذه المجلة مستقلا بها فعسى أن يلاقي من الاقبال عليها ما يستحقه أدبه ويكون عونا له ومنشطا على الارتقاء بها الى منتهى ما يصل اليه استعداده



(كوكب أفريقية)

« جريدة أسبوعية سياسية أدبية علمية فلاحية تجارية صناعية تصدر كل يوم جمعة — مدير تحريرها السيد محمود كحول ؟ من فضلاء الجزائر وهو يصدر الجريدة فيها · وقد وافانا العدد الثاني منها الذي صدر في ١١ ربيع الاول فسررنا به سرورا عظيما لأن اخواننا مسلمي الجزائر كانوا محرومين من هذا العمل العظيم — الصحافة — فنحن نرحب بهذه الجريدة ونرجو لها من صميم أفئدتنا التوفيق للإرشاد النافع وبحث القراء على الاقبال عليها وشد أزرها

(المنير)

جريدة أسبوعية جديدة أصدرها في تونس محمد الشاذلي المورالي من فضلاء الكتاب المشهورين فيها · وقد بين من سياستها في العدد الاول ما هو خير سياسة يرجى نفعها كالحض على نشر العلم بطريقته الاسلامية والتأليف بين المتعلمين في جامع الزيتونة والمتعلمين في المدارس النظامية وتحري المباحث التي تتعلق بشؤون المسلمين وتحامي ثلب الاعراض فنسأل الله تعالى أن يوفق صاحب هذه الجريدة الى خير ما قال وينفع بجريدته القارئين

باب المناظرة والمراسلة

جاءنا من الدكتور نصر افندي فريد طبيب العيون بالمنصورة ما يأتي

١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

حضرة الاستاذ الفاضل

قرأت لكم في العدد الاسبق بجريدة المنار الغراء كلاما في الخمر ملخصه أنه لا فائدة منها الا ان الجعة مدرة للبول وحيث ان جريدتكم الغراء لها تأثير فعال في نفوس المسلمين وجدت من الواجب علي ان لا تفوت الجريدة هذه الملحوظة

المشروبات الروحية وتأثيرها

هذه المشروبات ليس لها أدنى فائدة للصحة بالمرة الا في ظروف يعرفها الاطباء دون غيرهم في بعض الامراض والازمنة يعتادون [illegible] وضررها على الصحة فباعدا ذلك وبيل للغاية وقد تألفت جمعيات كثيرة في أوروبا لمنع المسكرات فأثرت تأثيراً حسنا وفي سنة ١٩٠٣ افرنكية وزعت [illegible] مكتوب فيها منشورات في المدينة وفي جميع الجرائد معززة بآراء نطس الاطباء [illegible] هذه المشروبات

فأمراض الجنون [illegible] وأمراض الكبد [illegible] والمعدة والقلب والسل أغلبها مسبب من المشروبات الروحية

اما ادرار البول المشاهد بعد شرب هذه المشروبات ومن ضمنها الجعة فهو متسبب من تهيج الكليتين واحتقانهما من الكؤول الموجود في هذه المشروبات

واني أتأسف لانتشار هذه الفكرة بين العوام وهي تعاطيهم الجعة عند اصابتهم بمرض في الجهاز البولي فيغترون بهذا الادرار البولي الكاذب فتزداد الحالة خطارة ويكهي الاحتقان الكلوي بالتهاب كلوي عاقبته الموت ان لم يبادر المصاب بالانقطاع عن تعاطي أم الخبائث والسلام

(المنار) نشكر للدكتور الفاضل مبادرته الى هذا التنبيه المفيد وما زلنا ننصح للناس بأن لا يغتروا بكلام الاطباء المقلدين أو المفتونين بزخرف المدنية اذ يأمرون من يشكو معدته أو يضر معدته شرب نبيذ كما قال اكثرهم بأخذ على هذا الغش أجرا من باعة الخمور . وقد قرأنا في الجزء الاخير من مجلة المقتطف مقالة مفيدة في هذا الموضوع سننشرها في الجزء الخامس

وكتب الينا أحد أساتذة المدارس بمصر ما يأتي

أستاذي الفضال السيد محمد رشيد رضا .

سلام الله عليه . وبعد فهل لي ان اطلب اليكم نشر هذه الكلمة على صفحات المنار اعلانا لتحقيقه وشكرا للصادقين . سيدي أرى أن أمرك مقسم والناس فيه فريقان فمن عائب يهجن منك مخاطبة اللورد كرومر ويتمنى لو نقمت عليه مع الناقمين وسرت مع الصارمين فلم تكتب اليه شيئاً ومما يرمونك به انك في استفهامك منه عما يريد – من لباب الاسلام أم قشوره قد بينت له أي الامرين يختار وذكرت له وجوه الاختيار من عمل الحكام بالفقه ورجوع بعض المسلمين عن العمل به ومن مخطئة بعضهم البعض فيه . يقولون لو غيرت هذه اللهجة . أما انا فمهما يكن من الامر فانا أرى أن مولاي الرشيد حفظه الله قد استدرج جناب اللورد الى العدول عما في تقريره وحاله تخلله وبالواجب عمل – من كان يظن أن اللورد كرومر لا يرجع عما في تقريره في حفلة الاوبرا الخديوية بعد مجاملة سمو الامير له وزيادة في الوكالة البريطانية واشتداد الصحافة المصرية في الطعن على تقريره ولكن اللورد كرومر دل على تمسكه بما في تقريره واصراره عليه وهزؤا بالمنازعين فيه في الصحافة وتعبيرها عنهم في الاوبرا خطيبا ولم يبق بعد شبهة دحضا [illegible] وقد كاد اليأس من رجوع اللورد كرومر عن تلك التهم الشنيعة يستحكم في نفوسنا ويزحزح كبير آمالنا لولا ما سمح به السيد الرشيد (سدد الله سهمه) جناب اللورد كرومر بكتابه اليه واستدرجه الى ما يريد وقد كان وعرف العالم الاوروبي بشهادة خبير منهم أن كل تهمة توجه الى الاسلام نفسه لا نصيب لها من الصحة ولا باعث لها من مرقدها الا حزازات النفوس وسخائم الصدور . الا فليرفع المسلمون في جميع الاقطار عقيرتهم بالدعاء للمنار وصاحبه وها انا فاعل . سدد الله المنار وأطال في بقاء صاحبه آمين .

(المنار) قال ما قلتم وما سمعتم كثيرون ولولا أن الجهالة عذر طبيعي للجاهل فيما ينشأ عنها وان لم تكن عذرا شرعياً في نفسها لكان لنا أن نعجب أشد العجب لضعيف يتخذ لنفسه عدوا قويا يلح عليه بان يلج في عداوته . ولا يرضيه منه أن يجنح الى مصادقته . هـذا واني وان بينت في سؤالي للورد ما أحب أن يجيب به تبرئة للاسلام لم أحاله ولكنني وفقت الى تنبيهه الى شيء يعتقده وحمله على التصريح به فاحمد الله على هذا التوفيق وأشكر للرجل هـذا الانصاف . وسأبين العبرة في خلاف الناس يباب الاخبار والآراء

باب الأخبار والآراء

(آراء الناس في مكاتبتنا مع لورد كرومر)

من الناس من يكتب ليرضي الناس فهو يتحرى رضاهم بالحق و بالباطل فلا الحق مقصود له في ذاته ولا الباطل مطلوب له لذاته وانما يكتب لهوى خاص هو كل مايقصد · ومنهم من يتحرى الحق رضي الناس أم لم يرضوا وافق أهواءهم أم لم يوافقها · ولا يتبع الناس الهوى في شيء كما يتبعونه في الكلام عن الحكام والرؤساء ورجال السياسة · وانا نرى أهل الأهواء قد يعدون الشيء الواحد اذا صدر عن زيد نافعا واذا صدر عن عمرو ضارا ويقول فلان قوله فيعدونه إيمانا وإصلاحا ويقوله آخر فيعدونه كفرا وافسادا

منذ سنتين وأشهر نشرت عدة مقالات في بعض جرائد القاهرة في ذم الفلسفة والتعريض بمن زعموا أنه يريد ادخالها في علوم الأزهر (يعنون الاستاذ الامام رحمه الله) وقالوا ان الأزهر مدرسة دينية محضة لايجوز تعليم شيء فيها غير الدين وفي هذا العام أمر شيخ الجامع الأزهر بعض المشايخ بقراءة فلسفة اليونان فيه فطفق بعضهم يقرأ الاشارات لابن سينا وبعضهم يقرأ كتبا أخرى في ذلك ولم يكتب أحد بل لم يقل أحد شيئا!! فلماذا كان توهم ادخال الفلسفة في الأزهر منكرا داعيا الى ذلك الانتقاد الشديد وصار تعليم الفلسفة بالفعل الآن معروفا لا ينتقده أحد ؟؟

وقد نشرت احدى جرائد المسلمين منذ سنتين مقالا لأحد الامراء عبث فيه بمحض أصول الدين وعقائده · وكتبت جريدة أخرى لهم ان الحكم بقتل القاتل من بقايا الهمجية ، بل استبدل الحكام القوانين بالشريعة ولم يقل المسلمون شيئا ولا حركوا ساكنا بل ظلوا يمدون هؤلاء الحكام من رؤساء الدول · وقد قال اللورد كرومر في تقريره الأخير عن حال مصر والسودان كلمة في الشريعة قام لها الناس وقعدوا لا لذاتها بل لأنها من اللورد كرومر · وقد أطال الرد والطعن كثير

من الكتاب على كلمة الرد من حيث هي كلمة وتكلم بعضهم فيها لذاتها . ومما كتب في الرد على اللورد مقالة في الرقي نشرت في اللواء معزوة الى حكيم من حكماء الاسلام ولكنه لايعرف البديهي من قواعد الاسلام اذ زعم أن الزكاة المفروضة فيه تصرف بحكم القرآن الى الحكام والى سفراء الدول وقناصلهم في بناء الفنادق للسياح . ولو كتب مثل هذا الكلام في المقطم لقامت عليه وعلى كاتبها قيامة اللواء وغير اللواء وعدوا ذلك أعظم جناية على الاسلام

هكذا ينظر أكثر الناس الى من قال لا الى ما قال ، ولا يعرفون الرجال بالحق بل يعرفون الحق بالرجال ، كلا ان اتباعهم الهوى في الرجال يصرفهم عن معرفة الحق وعن طلبه فلا يقبلونه ممن لم يوافق أهواءهم ولكنهم يقبلون الباطل ممن فتنوا بهم ، وصاروا موضع ثقتهم ، وهذا من أكبر البلاء على الناس اذ لا ترتقي أمة منهم الا اذا كثر المستقلون فيها بالحكم على الناس وعلى الاقوال ، الذين يطلبون الحق لذاته ويجعلونه هو الميزان لمعرفة الناس ومعرفة الاشياء

قال لورد كرومر قوله في الشريعة الاسلامية فقامت له جرائد المسلمين وقعدت ، وأعولت وولولت ، وذمت وقدحت ، ولامت وقرحت ، ثم صدر المنار فكان خيرا منها دفاعا ، وأشد للمخالف اقناعا ، وزاد على ذلك أن وفق الى أخذ كتاب من اللورد نفسه يبرىء فيه الدين الاسلامي نفسه من النقد والطعن ويستدل على ذلك ويصرح بأن عبارة التقرير — التي فهم منها الطعن في الدين نفسه — لم تؤد مراده الذي بينه ووضحه بما كتبه الينا ، فماذا قال الناس في ذلك ؟

اختلفوا فيه كما هي عادتهم فاستحسنه فريق كل الاستحسان وشكر لناسعينا واللورد فضله وانصافه وبالغ بعض افراد هذا الفريق في الاعجاب بذلك حتى قال لنا أحد المحامين وهو ممن لايختلف اثنان في كمال استقلاله وجودة رأيه وسعة علمه : أخبرني هل سحرت اللورد بكتابك اليه وهو لايعرفك ام استعنت عليه بوسائط أخرى حتى نجحت في أخذ هذا الجواب الذي لايتصور أن يخدم الاسلام بمثله في هذا الباب ؟ الخ ما قال

وذهب فريق آخر الى أنه لافضل اللورد في جوابه وانما الفضل كله فيه

لصاحب المنار . وقد جرت بين أحد الباشوات من هذا الفريق وأحد المشايخ الوجهاء من الفريق الاول مراجعة ومحاورة بذلك في حفلة عرس في العاصمة وكان بعض الوجهاء فيها موافقا للباشا وبعضهم موافقا الشيخ

وذهب فريق ثالث الى أن صاحب المنار قد أخطأ فيا كتبه الى اللورد لانه لقنه الجواب في السؤال ، ورد عليهم بعض الناس بأن صاحب المنار قد أحسن في ذلك لانه ورّط به اللورد حتى أجابه الى ما يريد من تبرئة الدين الذي هو الكتاب والسنة وهذا هو غرضه من الكتاب . ورد عليهم آخرون أن ما استدل به اللورد في جوابه مؤيد بتقاريره فهو لم يستفد الجواب من السؤال وانما جاء به من عند نفسه كما هو مفهوم من استدلاله

وقال فريق آخر إن صاحب المنار قد أخطأ لانه كان سبباً لهذا الكتاب الذي يميل القلوب الى اللورد حتى نراه أهلاً للشكر والثناء ونحن لانحب أن نرى منه مايحببه الينا بل نحب ان نرى [illegible] ما يزيد بغضنا فيه وحقدنا عليه !!!

وصاح فريق آخر إن صاحب المنار لايستحق على [illegible] العمل الا القدح والذم ، والسب والشتم ، والقدح والتشهير ، والتمثيل والتصوير ، لانه دافع عن اللورد الذي هو عدو الوطن والوطنيين ، وخصم الاسلام والمسلمين ، ولو كان هؤلاء يقولون مايعتقدون ، واذا ظهر لهم الحق يذعنون ، لوجدوا كثيرين يقولون لهم انكم تخطئون ، فان المنار مادافع عن اللورد بل رد مايفهم من كلامه بثلاث مقالات لم يسبقه أحد الى مثلها ثم توسل إلى استكتابه ما هو عين المصلحة للاسلام والمسلمين ، وان لم يوافق أهواء بعض المتحمسين من الوطنيين ، الذين يكرهون الحق اذا ظهر على لسان زيد ، وينفرون من المصلحة اذا جاءت على يد عمرو ، وهم لايتبعون الا شعور الكراهة والنفور ، ولا يصيخون الا لداعي الافراط والغرور ، وأكثرهم مقلدون لما يقوله أصحاب الصحف الغالون ،

أما أصحاب الصحف المصرية فأكثرها لم يقدر هذه المسألة قدرها على عنايتها دائما بأقل مايؤثر عن الرجال العظام كلورد كرومر من قول وعمل حتى ما لا شأن له في المصالح العامة كالرياضة والدعوات الى الطعام أو الشاي . أما السبب

التي لأجلها لم تحفل الجرائد بأمر يعد من أهم موضوعاتها وهو استدراك اللورد على عبارة في تقريره الرسمي في مسألة مهمة فهو أن جرائد الافرنج وما على شاكلتها من الجرائد العربية لا ترى من مصلحتها التنويه ولا مقتضى ملتها بالشهادة للدين الاسلامي أو تبرئته من مناهضة المدنية أو مخالفتها مهما ارتقت

وأما جرائد المسلمين التي كان ينتظر منها أن تنوه بذلك وتهتم به فقد اتفق انه ظهر في وقت تحالف فيه بعض أصحابها المشهورين على اسقاط «حزب الشيخ محمد عبده» بالذم والتشهير، والقدح والتصوير، وقد افترصوا ما يظنون من نجاحهم في إيهام الجمهور بأنهم هم الذين كانوا سبب استقالة اللورد وتغيير انكلترا سياستها في مصر تغييراً مرضيا (كما يزعمون) ولهذا ترى همهم محصورا في جعل حسنات ناظر المعارف (سعد باشا زغلول) سيئات وفي الطعن بعلومه ومعارفه واتقانه اللغة الفرنسية – هذا وهو انبغ رجال وطنهم المحبوب بألسنتهم وأقلامهم فكيف يعترفون مع هذا لصاحب المنار بأنه أحسن صنعاً وهو من حزب الشيخ محمد عبده المحكوم عليه بالاسقاط عندهم؟ أليس المعقول من أصحاب هذا الحكم أن يحولوا الامر عن وجهه ويجعلوا الحسنة سيئة؟ بلى

على أن جريدة اللواء أظهرت الارتياب في هذه المكاتبة كأنها كرمت نفسها ان تعترف بصحتها ثم لا تقدرها قدرها وصعب عليها أن تعترف للورد أو لصاحب المنار بمزية فلم تر مخرجا من ذلك الا باظهار الارتياب والشك فيما قيل ولكنها جزمت بتكذيب مانقل عن الشيخ حسونه افتياتا عليه– وجريدة المؤيد نقلت السؤال والجواب وتنزلت من ممانها فقبلت الجواب على أنه تنازل من اللورد ورجوع عن قوله الأول - وهي على كونها لم تترك السم أو اللدغ الخفي في هذا كعادتها قد كرمت نفسها ان تعد الدفاع عن الاسلام دفاعا عن اللورد فتركته الى من لا كرامة لهم في أنفسهم ولا في أنفس أحد من العقلاء الذين يعلمون ان ذلك لم يدفع عن اللورد ضرا ولم يجلب له نفعا

وقد كتب الينا من القاهرة وغيرها في استحسان السؤال والجواب واستهجان خطة المشاغب فيه وقد اكتفينا بنشر كتاب لأحد اساتذة المدارس لانه لم يسم فيه أحد وقد صرح بطلب نشره فليراجع في باب المراسلة

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ حادثة دمياط . في طي الارض . تقبيل أعتاب القبور . صناديق النذور ﴾

يقال ان مسلمي مصر يتحركون الى الرقي المدني الذي تعتز به الأمم ويتهمهم الأفرنج بأنهم يحاولون ان يجعلوا ترقيهم إسلاميا يمزج فيه الدين بالمدنية والسياسة ولو كانت هذه التهمة الشريفة صحيحة لكنا نرى مبدأ هذه الحركة من الأزهر وما على شاكله من المدارس الدينية ولكننا نرى بين طلاب المدنية من طريق علوم الدنيا و بين رجال الدين صلة واتفاقا على الغاية التي يلتقي فيها الفريقان في آخر السير متحدين على انهاض الأمة واعزاز الملة . ونحن لا نرى بينهما الا التباين التام وفقد الثقة والتدابر على خط مستقيم ، ونرى أن أهل الدنيا أقوى في ذلك من أهل الآخرة فهم يجذبونهم ولا ينجذبون اليهم فلا نرى أحدا ممن ارتقى بالعلوم الدنيوية يربي ولده تربية أزهرية ولكن كثيرا من علماء الأزهر قد يربون أولادهم في المدارس الدنيوية حتى مدارس الحقوق التي يكون المتعلمون فيها قضاة يحكمون بالقوانين من دون الشريعة وقد سمعت بأذني بعض هؤلاء العلماء يقول بكفر قضاة المحاكم الاهلية لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله ثم هو يحاول جعل ولده واحدا منهم أو محاميا حكمه في نظره حكمهم . ولو سألت السواد الأعظم من المتخرجين في المدارس الدنيوية العالية هل يرضون ان يكون شيوخ الأزهر وأمثالهم قضاة في المحاكم المدنية والجنائية وحكاما في السياسة والادارة لقالوا ان البلاد تستغيث من أحكامهم في الامور الشخصية فكيف تستنيم الأمة لحال اذا هم حكموا في غيرها لاسيما الامور المالية على اختلاف فروعها الآن والسياسية على وعورة مسالكها والتواء طرقها

وكان يرجى تلافي هذا التقاطع من رجال الدين لكنهم واقفون في الطريق الذي كان فيه أشياخهم وأشياخ أشياخهم والأمة متحركة بطبيعة العصر فلاهم يسيرون معها ولاهم يستطيعون ايقافها معهم ولاهم يساعدون طلاب الإصلاح على الجمع بين الدين

وما لابد منه لسلامة الملة والأمة كاستقلال الفكر، وتحصيل علوم العصر،

انك لتحدث أهل الرأي والفكر من الطبقات المختلفة في شأن الاسلام والمسلمين فلا تكاد ترى أحدا يرجو ان يجيء يوم يحكم المسلمون فيه بشريعتهم وهم في حال راقية عزيزة فيفكر في ذلك ويسعى له سعيه . أليس هذا هو البلاء المبين؟ بل وان وراءه لبلاء أكبر منه وهو نفور بعض الذين يتلقون العلوم العصرية من عقائد الدين واعتقادهم انها لا تتفق مع العقل ولا يلتئم مع استقلال الفكر ولا نجاح لأمة لا تعطي العقل حقه من الحرية وتبلغ الفكر مداه من الاستقلال . وكان يرجى تلافي هذا من العلماء أيضاً بأن يجاهروا بمقاومة البدع والخرافات

كنا ننتظر من الاستاذ الاكبر الشيخ حسونه النواوي حركة اصلاح جديدة في مقاومة البدع أقوى من الحركة التي كانت في مشيخته الأولى فما زادته الايام الا حنكة واختبارا ولكن حادثة دمياط جاءت بنقيض ما كان ينتظر أو يرجى فقد كانت هذه المسألة فرصة لاحياء سنة أو سنن وامانة بدعة بل بدع كثيرة لامتداد الاعناق و[illegible] وتشوف [illegible] يقوله شيخ الأزهر فيما عليه العامة من الافتتان بالمرجانين وقبور الصالحين

دعي الشيخ حسن علي أحد علماء دمياط الى قراءة قصة المولد في أحد المساجد فسمع الناس منه ما لم يعتادوا . سمعوا منه قصة ليس فيها شيء من الروايات الموضوعة، والاكاذيب المصنوعة، مفتتحة بقوله تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) فسروا بما سمعوا وانشرحت صدورهم . وكان مما ذكر في القصة خبر الهجرة الشريفة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قطع المسافة بين مكة والمدينة في مثل المسافة التي يقطعها بها الناس فسأله بعد ذلك سائل لماذا لم يقطعها في لحظة كما يفعل أهل الخطوة من الاولياء؟ فأجاب بأن مسألة الخطوة غير ثابتة ولو ثبتت لكان النبي صلى الله عليه [illegible] أجدر لاسيما في ذلك الوقت الذي خرج فيه مع صاحبه عليه الرضوان مستخفيين من قريش خوف اذاهم ولكانت آية يهتدي بها خلق كثير . ويقال انه سئل عن البقعة التي فيها قبر النبي

صلى الله عليه وسلم هل هي من أرض الدنيا أم من الجنة فأجاب بأنها من أرض الدنيا ولا أدري هل فسر لهم حديث الشيخين في ذلك أم لا . وسئل عن النقود التي تلقى في الصناديق التي توضع عند أضرحة المشايخ والاولياء في المساجد فأجاب بأن هذا العمل غير مشروع وان الصدقة على البائسين والمنكوبين كأهالي المطرية الذين احترقت بلدهم في هذا العام والبذل في الأعمال العامة كإنشاء المدارس أولى وأفضل وسئل عن تقبيل أعتاب حجرات قبور الصالحين فقال انه غير مشروع بل هو بدعة

ساءت هذه المسألة الأخيرة شيخ الصندوق في ذلك المسجد من دمياط فأوعز الى خطيب من خطباء الفتنة بأن يعرض بتضليل الشيخ حسن علي ووسوس الى كثير من العوام بأن الرجل أنكر الكرامات وأهان الأولياء فقامت قيامة الغوغاء عليه فنمي الأمر الى شيخ الأزهر فأمر شيخ علماء دمياط بالتحقيق فأظهر هذا الشيخ وأعوانه من التحامل على الشيخ حسن ما أظهروا حتى انه كان يقبل شهادة الطاعنين فيه ولا يسمع شهادة المدافعين عنه [illegible] . ولما علمت العامة بتحامل العلماء عليه هاجت هيجانا شديدا حتى [illegible] وصارت ترجمه بالحجارة أو الطوب اذا خرج وترجم البيت الذي هو فيه اذا لم يخرج .
ثم رفع الأمر الى مشيخة الأزهر فعقد الشيخ حسونه مجلس الادارة للنظر في ذلك وبعد النظر حكم بمنع الشيخ حسن علي من التدريس مدة سنة كاملة وبقطع مرتبه من التدريس في هذه المدة . هذا ما سمع وشاع

قيل ان الحكم اداري سببه اساءة الشيخ حسن علي الى شيخ العلماء في بلده عند التحقيق وهو قول معقول إذ لو كان أخطأ في بعض المسائل الدينية لحكم عليه بعد بيان غلطه له واقناعه بالصواب ان يعترف بالخطأ السابق ويقرر الصواب في دروسه على رؤوس الأشهاد. ولكن العامة فهمت أنه عوقب على انكار مايسمونه الخطوة أو طي الأرض للصالحين وتقبيل أعتاب الحجرات التي تبنى فيها قبورهم ونحو ذلك من البدع وربما قالوا ان الأولياء تصرفوا فيه وهذا ما كنا نرجو ن يتلافاه الشيخ حسونه لأن هذه الحادثة أحسن فرصة لنصر السنة ومحو البدع

بأن يظهر الحق مثلاً على ألسنة الجرائد

الحق في هذه المسائل من الدينيات التي لا ينتطح فيها عنزان — اما مسألة طي الأرض وقطع المسافات الطويلة في دقيقة أو دقائق قليلة فلم يأت بوجوب الايمان بها كتاب ولا سنة ولم يقل بها أحد من الأئمة المجتهدين بل لم يكن يخطر هذا ببال السلف ولما حدث القول بذلك في الخلف استنكره بعض الفقهاء حتى قال بعضهم بأن من يعتقد جواز ذلك يكفر ويخرج من الاسلام أو يحكم بجهالته وغباوته كما صرح بذلك صاحب الوهبانية من فقهاء الحنفية بقوله فيها

ومن لولي قال طي مسافة — يجوز جهول ثم بعض يكفر

ولا شك ان الناظم كان يعتقد أحد الوجهين اللذين حكاهما عن العلماء فليكن الشيخ حسن مثله ومثل من نقل عنهم . وهذا قولهم فيمن قال بالجواز فما بالك بمن يقول ان ذلك واقع بالفعل . وهب ان هذا وقع كرامة فهل يكلف من لم يثبت ذلك عنده ولم يشاهده ان يجعله عقيدة دينية له ؟ أي دين يقنع لهذا . أيقنع له دين الاسلام الذي قرر كتابه ان لله في الخليقة سنناً لا تتبدل ولا تتحول وان لا حكم في الدين الا لله وما انزل الله بهذا من سلطان

وأما مسألة تقبيل الأعتاب فهي بدعة لا سند لها من كتاب ولا سنة ولا قول إمام مجتهد وكيف وقد قال الفقهاء في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس من السنة ان يمس الجدار ولا أن يقبله بل يقف من بعد ويسلم

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تشييد القبور وتشريفها وعن الكتابة عليها وعن ايقاد السرج عليها وعن اتخاذ المساجد عليها ولعن من يفعل هذا . ومضى الصحابة والتابعون على هذه السنة فلم يبنوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا اليه ولا بنوا قبرا لأحد من المهاجرين والانصار . ولما حدثت بدعة بناء القبور كان بعض الامراء المتمسكين بالسنة يهدمها كما حكاه الامام الشافعي في الأم قال: ولم أر أحدا من الفقهاء أنكر عليهم ذلك أي هدمها : فهل صارت البدعة سنة وصار بناء القبور وتشريفها وبناء المساجد عليها والصلاة اليها دينا متبعا بعد ان لعن الشارع فاعل ذلك وصار لهذه المساجد التي تبنى عليها أحكام شرعية منها ان تقبيل أعتابها مطلوب

شرعا ومنكره يعاقب ويهان ؟

وأما مسألة الروضة فالرواية فيها ضعيفة عن الشيخ حسن على سمعتها من واحد مجملة وانني مع ذلك أقول فيها قولا وجيزا . أقول ان العلماء قالوا في حديث الشيخين « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » ان معناه ان العمل هناك بطاعة الله يكون سبباً لدخول الجنة . وقيل أنها تنقل يوم القيامة الى الجنة وقال بعضهم : انه لما كان جلوسه (صلى الله عليه وسلم) وجلوس الناس اليه يتعلمون القرآن والدين والايمان هناك شبه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجتنى فيه وأضافه الى الجنة لأنها تؤول الى الجنة ؛ وهذا هو الصواب في تفسيره ويشهد له ما ورد في تسمية مجالس الذكر برياض الجنة كما في حديث جابر وأبي هريرة ومعاذ ولم يقل أحد ان المراد بها أن مجالس الذكر من أرض الجنة لا من أرض الدنيا

وأما مسألة الصناديق التي توضع عند الأضرحة لاستدرار أيدي الذين يظنون أن إلقاء المال في الصندوق مناسب لقضاء صاحب الضريح لحاجة الملقي فما قاله الشيخ حسن فيها لا يستطيع أحد أن ينكره الا أولئك الاغنياء الذين يأكلون تلك الأموال بالباطل ولم يبلغنا ان الرجل نوقش في هذه المسألة فلا نبحث فيها

فعلم مما تقدم ان كل ما قاله الرجل حق لا وجه لمؤاخذته على شيء منه وهذا مما يقوي القول بأنه أوخذ على شيء آخر يتعلق بمعاملته لشيخ علماء دمياط ولكن الناس لم يعرفوا ذلك الشيء فظنوا ان شيخ الأزهر وأعضاء مجلس ادارته ينكرون تلك الحقائق ويقولون بوجوب الايمان بطي الأرض للصالحين بالفعل وتقبيل اعتاب المساجد التي بنيت على قبورهم ابتداعا في الدين * وبان إلقاء المال في الصناديق عند قبورهم أفضل من الصدقة على الفقراء والمساكين ، وإغاثة المنكوبين والبائسين .

والناس في هذا الظن فريقان — فريق يعلم الحق في هذه المسائل فهو يعتقد ان الشيوخ مبطلون ، وللبدع والخرافات مؤيدون ، وفريق لا علم عنده فهو يقلدهم بما يظن انهم عليه . ولا ينبغي اقرار أحد من الفريقين على ظنه ظن السوء بالعلماء لذلك نقترح على الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أن يبين للناس الحق في هذه المسائل وأنه لم يؤاخذ الشيخ حسنا لخطأه فيها بل لأمر آخر وله ان يكتمه فهذا وقت يجب فيه البيان ولا يصح فيه السكوت والاستاذ في نفسه ودروسه أهل لذلك